عشرون موقفا للنبي ﷺ مع الخَدَم

تأليف الدكتور
إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان

١٤٤٠هـ

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصــلاة والســلام على أشــرف الأنبياء والمرســلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فالصفحات التي ستلي هذه المقدمة ، هي صفحات من سيرة الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. وهي مواقف له اخترتها من سيرته العَطِرَة ، عشــرون موقفا له ﷺ مع الخَدَم ، وهم الناس الذين كانوا يقومون بخدمته ، وقضــاء حوائجه من الصــحابة رضــي الله عنهم وغيرهم ، لنأخذ منها الدروس والعبر ، وكيف كانت معاملة الحبيب ﷺ لهولاء الصنف من الناس ؟

وخطة الكتاب كما صنعت في كتبي السابقة ، بعد هذه الــمُقدّمة : أني أذكر الحديث ثم الفوائد منه ،وكل فائدة أكتبها أذكر مصــدرها الذي أخذتها منه في الحاشــية من المكتبة الشــاملة ،أو غيرها ، وقد أعدّل في العبارة قليلا ، أو أُضِـيف ، ومالم أذكر مصــدره فهو من استنباطي . ولم استوعب جميع فوائد الحديث . والتزمت التوثيق في تعريف الكلمات المبهمة ، وصِـحة الأحاديث التي أوردتها .ووضـعت عنوانا لكل حديث ، و حرصـت أن يكون العنوان متعلقا بالخَدَم .

وإنّي أرجو أن يكون عملي هذا خالصــــــاً لوجهه الكريم ، فأنال الثواب والأجر منه سبحانه ،وأن يكون حُبّا لنبيه ﷺ فتَحْصُل لي شفاعته ﷺ يوم القيامة . والله أسأل أن ينفعَ به كاتبَه ،وقارِئَه ، وناشِرَه ، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد .

المؤلف
د. إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان
ebrahim.f.w@gmail.com
الموقع التجريبي
/http://eb-alwadaan.site123.me

الخادم يأتي بالقَصْعَة

الحديث الأول : عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ كان عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أُمَّهات المؤمنين مع خادم بِقَصْعَة فيها طعام، فضربَتْ بيدها، فكسَرَت القَصْعَةَ، فَضَمّها وجعل فيها الطعام، وقال: (كُلُوا) وحَبَس الرسولَ والقصعةَ حتى فَرَغُوا، فدفعَ القصعةَ الصحيحة، وحَبَسَ المكسورة .[1]

من فوائد الحديث :

١- هذا الحديث وغيره يحكي الواقع الذي يعيشه النبي ﷺ في بيته ، وبين نسائه ، كأي بشر متزوجٍ لعدّة نسوة ، يحصلُ بينهنّ الشقاق ،والخلاف.

٢- حُسْنُ تعامل النبي ﷺ مع الخطأ .

٣- حُسْنُ معاشرة النبي ﷺ ، ولين جانبه مع أهله.

٤- إنّ القدوة في كل شيء هو محمد ﷺ .

٥- لم تُذْكَر أسماء أمهات المؤمنين اللاتي حَدَثَت لهنّ القصة في هذه الرواية ، إما من باب الستر ، أو أن الأمر لا يستدعي الذكر ، وإنما المهم ، هو ذكر الواقعة ، وكيف كان تصرّف الحبيب ﷺ ، حتى يعلّم الناس ذلك .

٦- الإنسانُ حال الغضب قد لا يملكُ نفسَه.

٧- قُدْرَةُ النبي ﷺ على تهدئة المشاعر الثائرة،واحتواء الأزمات الطارئة، وعلاجها، وتفادي الأضرار المحتمَلَة .

٨- ما صنعته عائشة رضي الله عنها ، كان على مرأى ومسمعٍ من رسول الله ﷺ وهو يلمحُ ذلك بطُمَأنينةٍ وهدوء ،ويتنفَّس هموم حبيبته ، ويعذر الغَيْرى ، ويُعرض عن لومها وعتابها ، ويضرب عن تأديبها ولو بالكلام ، ويهوي

---

(١) صحيح البخاري ١٣٦/٣ رقم ٢٤٨١ .

بتواضعه الجمّ إلى فِلَقِ الصَّحفة وأشلاء الطعام فيجمعها من الأرض، وهو يردِّدُ ويتودّدُ بأرقّ عبارة ، وأعذب بيان ، وأجملِ اعتذار "كُلُوا غَارَتْ أُمُّكُم ".

٩- غَمَرَ النبي ﷺ عائشة بعطْفه ، وإلْطافِه ، وشَمَل المُرْسِلَةَ بعَدْلِه ،وإنصافه، فرضي الجميع بقوله وفعله .

١٠- الحثُّ على عدم مؤاخذة الغَيْرى، وإحسان الظنِّ بها، وتحمُّل ما يَصدرُ منها، خاصَّة مع حَداثة سِنِّها وكثرة ضرائرها، لأنها في تلك الحالة يكون عقلها محجوبًا بشدَّة الغضب، والغيرة مركَّبة في النَّفس فلا تملك دفعها.

١١- قضى النبيُّ ﷺ فيمن أتلف شيئًا بغير إذن مالكه بغرامة مثله،وضمان نظيره .فدفع الصَّحفةَ الصحيحة إلى المُهدية، وحبس المكسورةَ في بيت عائشة واقتصر على تغريم القصعة ،ولم يغرّمْها الطعام لأنه كان مُهدىً ،فإتلافه في حكم القبول، فسوّى بينهما في الضمان، (إنَاءٌ كإنَاءٍ) وهذا عينُ العدلِ ومَحْضُ القياس ،وتأويلُ القرآن .قال تعالى: "وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ " . (٢)

١٢- أهمية الطعام في حياة الإنسان .

١٣- استحباب الهدية ، وأثرها في النفوس .

١٤- لا بأس بالهدية من الزوجة إلى زوجها في يوم ضَرّتها ، ولا حرج فيه .

١٥- قدرة أمهات المؤمنين على طبخ الطعام ، وإجادتهن له .

١٦- الميل للنساء ، وحُبّهنّ أمر جبلّيّ ، ولقد حُبّب للنبي ﷺ من الدنيا النساء ، والطيب ، ولكن جُعلت قُرّة عينه في الصلاة . (٣)

---

(٢) من ٧ – ١٢ مستفاد من موقع شبكة السنة النبوية وعلومها .إشراف د. فالح بن محمد الصغير .والآية ١٢٦ من سورة النحل .

(٣) مسند الإمام أحمد ٣٠٥/١٩ رقم ١٢٢٩٣ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٩٩/١ رقم ٣١٢٤.

١٧- لا بأس أن يحمل الهدية إلى المُهْدَى إليه شخص آخر ، ولا يُشترط أن يحملها هو بنفسه .

١٨- كان النبي ﷺ أكرم الناس ، فهو دائما يُكرم أضيافه وأصحابه، فلا يبخل عليهم بشيء .لذا يستحب إكرام الضيف .

١٩- احترام الطعام ، لأنه نعمة من نِعَم الله ،لذا اهتمّ النبي ﷺ بما تناثر منه ، وأخذ يجمعه ، احتراما لهذه النعمة . (٤)

٢٠- كانت أغلب أواني ذلك الزمان من الخشب، فالقصعة التي أتى بها الخادم ، كانت من الخشب .

٢١- جواز اتخاذ الخادم .

٢٢- صَمْتُ الصحابة ﷺ ، في ذلك الموقف ، يعتبرُ أدبا منهم ، وتقديرا ، وإجلالا لنبيهم ﷺ .

٢٣- على المسلم أن يصبر على ما يبدر من زوجته ، ولا يستعجل في الحكم ، ويتريث في العقوبة ، حتى يتثبت من الأمر ، وبواعثه ، فما أجمل الصفح ، والعفو من الزوج لزوجته ، فهو أجمع للقلب ، وأدوم للمحبة .

٢٤- كانت لحظة الضرب خاطفة وسريعة ، وكانت باليد ، أو بآلة أدّت إلى سقوط الصَّحفة وانفلاقها ، فالمشهد سريع مقصود في وقته، ولم يُخطط له من قبل.

٢٥- كان بمقدور النبي ﷺ أن يأمر أحدا ممن شهد الموقف بأن يجمع ماتناثر من الصحفة ، أو تناثر من الطعام ، لكنه ﷺ آثر أن يقوم بذلك كله بنفسه .

٢٦- لا بأس بإيقاف الخادم وقتا يسيرا ، لمصلحة .

---

(٤) من شرح بلوغ المرام د. عبدالكريم الخضير .(موقع فيلادلفيا- المكتبة) .

٢٧- للإنسان أن يتصرف في ماله كيفما شاء ، مادام في ذلك مصلحة ، وأنه فعل مباح ؛ لا محظور فيه .

٢٨- أن تكون العقوبة على قدر الفعل .وعلى المربي مُراعاة هذا الجانب في التربية حين إيقاع العقوبة حق الرعاية ، ويُوْلي ذلك جُلَّ اهتمامه .

٢٩- هناك كسر ينجبر ، والبعض منها لا ينجبر .فكسر الإناء قد ينجبر ، إما بجمعه ، والتصاقه ببعض ، فإن لم يكن فبدفع قيمته ، وأما كسرُ القلوب وجرحُها فقد لا ينجبر ويندمل ، لذلك النبي ﷺ حافظ على قلب حبيبته عائشة ، فلم يكسره أو يخدشه بكلمة ، بل دافع عنها ، وصفح عنها ، وكأن شيئا لم يكن ، فلله ما أروع تلك الأخلاق ، وما أنبل تلك الخصال.

٣٠- قوله في الحديث : (عند بعض نسائه) المقصود بها عائشة ، وقوله :(إحدى أمهات المؤمنين) قيل هي : زينب ، وقيل : صفية ،ولعل الراجح أنها زينب بنت جحش رضي الله عن الجميع .(٥)

٣١- قوله :(كلوا) أمر ظاهره يقتضي الوجوب ، لكنه للاستحباب ، لأنّه ليس واجبا عليهم أن يأكلوا .وهو أمر تلَطّف ، وأدب منه ﷺ .

٣٢- مشاركة النبي ﷺ لأصحابه ، ومخالطته لهم ، والجلوس بينهم .

---

(٥) فتح الباري لابن حجر ٥/١٢٤-١٢٥ .

خدمة أنس للنبي ﷺ

الحديث الثاني : عن أنس ﷺ قال: قَدِمَ رسول الله ﷺ المدينة ليس له خادم، فأخذ أبو طلحة بيدي، فانطلقَ بي إلى رسول الله ﷺ ، فقال: يا رسول الله، إنّ أنَسَاً غُلامٌ كَيْسٌ فليخْدِمُك، قال: «فخدمته في السفر والحضر، ما قال لي لشيء صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَ هذا هكذا؟ ولا لشيء لم أصنَعْهُ لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هذا هكذا؟» .[٦]

من فوائد الحديث :

١- تعيش في جوّ أخلاق النبي ﷺ الكاملة ، وتحت خصاله الوارفة ، وبستان صفاته العالية الحميدة .

٢- معنى كَيْسٌ : ضدّ الأحمق .[٧] وهو العاقل الظريف .

٣- نَظَرُ الرجل لرَبِيبْهِ إذا كان عندَه.[٨] فأبوطلحة ليس أبا لأنس ، إنّما هو زوجُ أمّه .

٤- قال ابن التين: وأكثر أصحاب مالك على أن الأم، وغيرها لهم ولاية التصرف في مصالح من في كفالتهم، ويعقدون له وعليه، وإن لم يكونوا أوصياء ويكون حكمهم حكم الأوصياء.

٥- السفر باليتيم إذا كان ذلك من المَصلحة.

٦- لا بأس على المرء أن يُثْني على نفسه ، إذا رأى المصلحة في ذلك، وأَمِنَ على نفسه من الفتنة. في قوله: (فخدمتُه في السفر والحضر) وقوله في رواية أخرى:(خدمتُه وأنا ابن عشر، وتوفي وأنا ابن عشرين).[٩]

---

(٦) صحيح البخاري ١١/٤ رقم ٢٧٦٨ . صحيح مسلم ١٨٠٤/٤ رقم ٢٣٠٩ .
(٧) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن المُلقّن ٢٧١/١٧ .
(٨) المرجع السابق ٢٧١/١٧ . ٤٧٣/٣١ .
(٩) صحيح البخاري ٢٣/٧ رقم ٥١٦٦ . صحيح مسلم ١٦٠٣/٣ رقم ٢٠٢٩ .

٧- جواز خدمة الحرّ لغيره .

٨- خدمة العالم والإمام واجبة على المسلمين، وأن ذلك شرف لمن خدمهم لما يرجى من بركة ذلك . [١٠]

٩- كان ﷺ لا يواجه الناس بالعتاب، يعني على ما يكون في خاصة نفسه كالصبر على جهل الجاهل ،وجفاء الأعراب . فأما إن انتهكت من الدين حرمة فإنه لا يتركُ العتابَ عليها، والتقريع فيها، ويَصْدَعُ بالحق فيما يجب على مُنْتَهِكِها، ويقتصُّ منه، وسواء كان حقا لله ، أو للعباد. [١١]

١٠- رأفة النبي ﷺ ورحمته بأصحابه ، وبأمّته . [١٢]

١١- جواز أن يتخذ المسلم خادمًا يقوم على خدمته.

١٢- يوم أن خدم أنس رضي الله عنه ،كان في العاشرة من عمره، مما يدل على صغره.

١٣- كشفَ لنا الصحابي جانبًا من حياة النبي ﷺ ، وسلوكًا رائعًا في تعامله عليه الصلاة والسلام.

١٤- هل يستطيع المربي، سواء أكان أبًا أو غيره؛ أن يُخَفِّفَ اللومَ والعتابَ على من هم تحت يده، ويتعامل معهم كما يتعامل المصطفى ﷺ مع أنس؟ إنه منهج نبوي فريد حَرِيٌّ بنا أنْ نُطَبِّقَهُ مع أبنائنا.

١٥- على المسلم أن يحفظ لسانه من الكلمات القاسية، وغيرها مما له تأثير على الأبناء ، والخَدَم .

١٦- اهتمام النبي ﷺ باليتيم.

١٧- اهتمام أبي طلحة رضي الله عنه بتربية أنس وهو زوج أمه، وحرصه أن يكون هذا اليتيم في خدمة المصطفى ﷺ .

---

(١٠) من ٤-٨ مستفاد من التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن المُلقّن ١٧/٢٧١-٢٧٢ .

(١١) المرجع السابق ٢٨/٤٦٨ .

(١٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن المُلقّن ٢٨/٤٦٨ .

١٨- قوله: (فانطلقَ بي) يدلّ على السرعة ، وعدم التأخير .

١٩- المبادرة ، والمسارعة بأعمال الخير ، فأبوطلحة الأنصاري ﷺ بادر بتقديم أنسٍ ليخدم النبي ﷺ .

٢٠- قوله: (إنّ أنَسَاً غُلامٌ كَيْسٌ) مدحٌ ، وثَنَاءٌ من أبي طلحة لأنس رضي الله عنهما ، وهي مُقَدّمة جميلة ، وعَرْض رائع ، يَستَدعي قُبول أنس للخدمة ، بعد هذا الثناء ، وهذه التزكية .

٢١- طلبُ القُرب ، والبركة من النبي ﷺ .

٢٢- هذا القُربُ نفع أنساً نفعا عظيماً ، فقد أخذ العِلم من النبي ﷺ .

٢٣- قوله: (قَدِمَ رسول الله ﷺ المدينة ليس له خادم) يدلّ على أنّ النبي ﷺ لم يُفْتح عليه في المال ؛إلاّ بعد أن هاجر إلى المدينة .

٢٤- قوله:(فأخذ أبو طلحة بيدي) يدلّ على أنّ أمر أنس كلّه ، كان بيد زوج أمّه أبي طلحة الأنصاري .

خيرٌ لكما من خادم

الحديث الثالث: عن الحكم، سمعت ابن أبي ليلى، قال: حدثنا علي، أن فاطمة عليها السلام، شَكَتْ ما تلقى من أثر الرَّحا، فأتى النبي ﷺ سبي، فانطلَقَت فلم تجدْه، فوجدت عائشة فأخبرتها، فلما جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة، فجاء النبي ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبتُ لأقوم، فقال: «على مكانكما». فقعد بيننا حتى وجدتُ بَرْدَ قدميه على صدري، وقال: «ألا أعلّمكما خيرا مما سألتماني، إذا أخذتما مضاجِعَكُما تُكبّرا أربعا وثلاثين، وتُسبّحا ثلاثا وثلاثين، وتَحمَدا ثلاثا وثلاثين ، فهو خيرٌ لكما من خادم» .(١٣)

وفي رواية قال علي: ما تركتُه منذ سمعته من رسول الله ﷺ قيل له : ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين .(١٤)

من فوائد الحديث :

١- قوله : (عليها السلام) قالها أحد الرواة . والأولى أن يُتَرضّى عليها، فيُقال رضي الله عنها ، كالصاحبة ، والصحابيات غيرها . وإن كانت من خير النساء ، فلا تميّز في هذا عن غيرها ، فكل الصحابة يُترضّى عليهم .

٢- الأَثَرَة بيّنة في هذا الحديث، وذلك أن ابنة رسول الله ﷺ لما طلبَت منه خادما فعلّمها من تحميده وتكبيره ما هو أنفع لها ، وآثر ذلك الفقراء الذين كانوا في المسجد قد أوقفوا أنفسهم لسماع العلم، وضبط السنن على شبع بطونهم لا يرغبون في كسب مال ولا راحة عيال. فكان إيثار رسول الله ﷺ لهم ،وحرمان ابنته دليلا واضحا أن الخُمُس موقوف للأوكد فالأوكد، وليس على من ذَكَر الله بالسَّويّة كما قال الشافعي؛ لأنه آثر المساكين على

(١٣) صحيح البخاري ١٩/٥ رقم ٣٧٠٥ . ٦٥/٧ رقم ٥٣٦١ ورقم ٥٣٦٢ . صحيح مسلم ٢٠١٩/٤ رقم ٢٧٢٧.
(١٤) صحيح مسلم ٢٠١٩/٤ رقم ٢٧٢٧.

ذوي القربى، وهم مذكورون في الآية قبلهم، وإنما الأمر موكول إلى اجتهاده ﷺ ، له أن يَحرم من شاء ،ويعطي من شاء .[١٥]

٣- قوله: (فأتى النبي ﷺ سبي) السبي هي : غنيمة الغزو . والرسول له خُمُس الغنيمة ، كما قال سبحانه :{ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ..} [١٦] وللعلماء في ذلك أقوال:

القول الأوّل: أن ذوي القربى ؛قرابة رسول الله ﷺ لهم سهم من الخُمس مَفْروض؛لقوله تعالى:{فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى}[١٧] وهم بنو هاشم وبنو المطلب خاصة ؛لإعطاء رسول الله ﷺ إياهم دون سائر قرابته، هذا قول الشافعي وأبي ثور.

القول الثاني: أن قرابة رسول الله ﷺ لا سهم لهم من الخمس معلوما، ولاحظّ لهم خلاف حظ غيرهم وقالوا: إنما جعل الله لهم ما جعل من ذلك، في الآية المذكورة لحال فقرهم، وحاجتهم فأدخلهم مع الفقراء والمساكين، فكما يخرج الفقير والمسكين من ذلك بخروجهم من المعنى الذي استحقوا به ذلك وهو الفقر. فكذلك قرابة رسول الله ﷺ المذكورون معهم إذا استغنوا خرجوا من ذلك قالوا: ولو كان لقرابة رسول الله ﷺ حظ لكانت فاطمة بنته ﷺ منهم، إذ كانت أقربهم إليه نسبا وأمسهم به رحما. فلم يجعل لها حظا في السبي، ولا أخدمها، ولكنه وكلها إلى ذكر الله وتحميده وتهليله الذي يرجو لها به الفوز من الله والزلفى عنده .وبذلك فعل أبو بكر وعمر بعد رسول الله ﷺ قَسَّمَا جميع الخمس، ولم يَرَيَا لقرابة رسول الله ﷺ في ذلك حقا خلاف حق سائر الناس، ولم ينكره عليهما أحد من الصحابة

---

(١٥) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن المُلقّن ١٨/ ٤١٧ .

(١٦) سورة الأنفال آية ٤١ .

(١٧) سورة الأنفال آية ٤١ .

،ولا خالفهما فيه، وإذا ثبت الإجماع من أبي بكر وعمر، ومن جميع الصحابة ثبت القول به، ووجب العمل به .[١٨]

٤- إنّ الإنسان قد يَحْمِلُ أهله على ما يحمل عليه نفسه من التقلل في الدنيا، وتَسْلِيَتِهم عنها ؛ بما أعد الله للصابرين في الآخرة.

٥- دخول الرجل على ابنته ،وهي راقدة مع زوجها.

٦- جواز جلوس الرجل بين ابنته وزوجها وهما راقدان ،ومباشرة قدميه وبعض جسده جسم ابنته، وجواز مباشرة ذوي المحارم.

٧- قوله: "خيرا من خادم" أي: من التصريح بسؤال خادم .[١٩]

٨- فضيلة ظاهرة ،ومنقبة واضحة لعلي ﷺ .

٩- فضيلة ظاهرة ،ومنقبة واضحة لفاطمة رضي الله عنها ابنة النبي ﷺ.[٢٠]

١٠- أن التسبيح خير من خادم ، فهو يُعين على الخدمة ؛ أقوى من إعانة الخادم . وهذا من فضل الله ورحمته .ولقد عَوّضَها رسول الله ﷺ نِعْمَ العِوَض، فإن كل من سَبّحَ بهذه التسبيحات عاملا بهذا الحديث، فإنّ لفاطمة رضي الله عنها الأجر والثواب كاملا غير مَنقوص، لأنها هي التي أثارت هذه السنة بسؤالها المبارك .[٢١]

١١- إنّ الإنسان إذا كان له تسبيح أو وِرْد من الذكر فالأولى أن لا يتركه في موطن من مواطن الشدة، ألا ترى إلى علي ﷺ كيف قال: (ولا ليلة صفين؟!) بل ربما كان هذا التسبيح أوفى عتادًا لمثل تلك الحال؛ فذكرُه له ذلك الموطن أولى وأحرى.[٢٢]

---

(١٨) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن المُلقّن ١٨/٤١٥-٤١٦ .
(١٩) المرجع السابق ١٨/٤٢٠ .
(٢٠) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن المُلقّن ٢٠/٣٠٩ .
(٢١) الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة ١/٢٥٦ .
(٢٢) المرجع السابق .

١٢- قوله:(شَكَت ما تلقى من أثر الرحا) لا حرج في الشكوى من الألم الذي يصيب الإنسان ونحوه . مالم يكن تَسَخُّطا.

١٣- الخادم يساعد كثيرا ، ويخفف الحِمْل عن أهل البيت .

١٤- إذا رُزق الإنسان خادما أمينا ، ونشيطا ، ومُطيعا فهو نِعمة عظيمة .

١٥- حُبّ النبي ﷺ لفاطمة رضي الله عنها ، وكذلك لِصِهْرِه وابن عمّه علي رضي الله عنه .

الغلام رَبَاح يستأذن لعمر

الحديث الرابع : عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، قال: لم أزل حريصا على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) (٢٣) حتى حج وحججت معه، وعدل وعدلت معه بإداوة، فتبرّز، ثم جاء فَسَكَبْتُ على يديه منها فتوضأ؛ فقلت له: يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) قال: واعجبا لك يا ابن عباس هما عائشة وحفصة ثم استقبل عمر الحديث يسوقه، قال: كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد، وهم من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على النبي ﷺ ، فينزل يوما وأنزل يوما، فإذا نزلت جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحي أو غيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك؛ وكنا، معشر قريش، نَغْلِبُ النساء؛ فلما قَدِمْنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فطَفِقَ نساؤنا يأخذن من أدب الأنصار؛ فصَخَبَتْ عليّ امرأتي فراجعتني، فأنكرتُ أن تراجِعَني؛ قالت: ولم تنكر أن أراجعَك فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه، وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل، فأفزعني ذلك، وقلت لها: قد خاب من فعل ذلك منهن ثم جمعت علي ثيابي، فنزلت فدخلت على حفصة؛ فقلت لها: أي حفصة أتغاضب إحداكن النبي ﷺ اليوم حتى الليل قالت: نعم فقلت: قد خبتِ وخسرتِ، أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسوله ﷺ فتهلكي لا تستكثري النبي ﷺ ، ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه، وسليني ما بدا لك، ولا يغرنّك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي ﷺ (يريد عائشة) قال عمر: وكنا قد تحدثنا أن غسان تنعل الخيل لغزونا، فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته، فرجع إلينا عشاء، فضرب بابي ضربا شديدا؛ وقال: أثم هو ففزعت، فخرجت إليه؛ فقال: قد حدث اليوم أمر عظيم، قلت: ما هو، أجاء غسان قال:

---

(٢٣) سورة التحريم آية ٤ .

لا، بل أعظم من ذلك وأهول، طلّق النبي ﷺ نساءَه؛ فقلت: خابت حفصة وخسرت، قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون فجمعت علي ثيابي، فصليت صلاة الفجر مع النبي ﷺ ، فدخل النبي ﷺ مشربة له، فاعتزل فيها، ودخلت على حفصة فإذا هي تبكي؛ فقلت: ما يبكيك ألم أكن حذرتك هذا أطلقكن النبي ﷺ قالت: لا أدري، ها هو ذا معتزل في المشربة فخرجت فجئت إلى المنبر، فإذا حوله رهط، يبكي بعضهم؛ فجلست معهم قليلا، ثم غلبني ما أجد، فجئت المشربة التي فيها النبي ﷺ ، فقلت لغلام له أسود، استأذن لعمر؛ فدخل الغلام، فكلم النبي ﷺ ، ثم رجع، فقال: كلمت النبي ﷺ وذكرتك له فصمت؛ فانصرفت، حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر ثم غلبني ما أجد، فجئت فقلت للغلام استأذن لعمر؛ فدخل ثم رجع، فقال: قد ذكرتك له فصَمَت؛ فرجعت فجلست مع الرهط الذين عند المنبر ثم غلبني ما أجد فجئت الغلام، فقلت: استأذن لعمر؛ فدخل ثم رجع إلي فقال: قد ذكرتك له فصمت؛ فلما وليت منصرفا (قال) إذا الغلام يدعوني فقال: قد أذن لك ﷺ فدخلت على رسول الله ﷺ، فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرمال بجنبه، متكئا على وسادة من أدم، حشوها ليف؛ فسلمت عليه ثم قلت، وأنا قائم: يا رسول الله أطلقت نساءك فرفع إلي بصره، فقال: لا، فقلت: الله أكبر ثم قلت، وأنا قائم: أستأنس، يا رسول الله لو رأيتني، وكنا، معشر قريش، نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة، إذا قوم تغلبهم نساؤهم؛ فتبسم النبي ﷺ ثم قلت: يا رسول الله لو رأيتني، ودخلتُ على حفصة، فقلت لها: لا يغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي ﷺ (يريد عائشة) فتبسم النبي ﷺ تبسمة أخرى ؛ فجلست حين رأيته تبسم، فرفعت بصري في بيته، فوالله ما رأيت في بيته شيئا يرد البصر غير أَهَبَة[٢٤] ثلاثة

(٢٤) الأَهَبَة : جمع إهاب وهو الجلد قبل الدبغ .(النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٨٣/١ مادة أهب) .

فقلت: يا رسول الله ادع الله فليوسّع على أمتك، فإن فارسا والروم قد وسع عليهم ، وأعطوا الدنيا ،وهم لا يعبدون الله.(٢٥)

من فوائد الحديث :

١- حرص ابن عباس رضي الله عنهما على طلب العلم .

٢- خدمة أهل العلم ، وفي ذلك شرف ، ورفعة .حيث أخذ ابن عباس إداوة فيها الماء ،وسكب على يدي عمر ﷺ فتوضأ .

٣- تَعَجُّب العالم من سؤال التلميذ ، إما لسهولة معرفته . أو لعلم العالم ، أن التلميذ يعلم ، لكن يريد التأكد مما سمع ، عن طريق المشافهة .

٤- حرص عمر ﷺ على طلب العلم ، والصبر عليه ، حيث إنه يتناوب حضور مجلس النبي ﷺ مع صحابي من الأنصار بيته بعيد .

٥- اختيار الصحبة الصالحة ، وأنها سبب في الإعانة على طلب العلم .

٦- من بركات الحج ، وآثاره الحميدة ، أن يتزود الإنسان من العلم النافع .

٧- مسايرة العالم ، والتلطف معه للحصول على ما عنده من العلم .

٨- همّة ابن عباس رضي الله عنهما في طلب العلم .

٩- استحباب السفر لطلب العلم .

١٠- استغلال الفرص قبل فواتها .

١١- حب عمر ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما ، وذلك لقربه من النبي ﷺ ، ولعلمه .

١٢- مناداة العالم ، وأهل الفضل بأحب الأسماء إليهم .

١٣- من آداب طلب العلم : مبدأ الانصات ، فقد ظل ابن عباس رضي الله عنهما منصتا للقصة حتى نهايتها .

---

(٢٥) صحيح البخاري ١٥٢/٧ رقم ٢٤٦٨ . ٧٠/٨ رقم ٦٣١٨ . صحيح مسلم ١١٠٨/٢ رقم ١٤٧٩ .

١٤- دور المجالس الطيبة ، والدروس العلمية ؛ في تغيير حياة الإنسان للأفضل.

١٥- على المرء ألا يستعجل في إشاعة الخبر ، قبل التأكد من صحّته .

١٦- قد تصدر من الأب ألفاظ ؛ هي في حقيقتها دعاء على الولد ، لكنها ليست كذلك ، إنما هو شيء تعارف عليه العرب ، ولا يراد حقيقته .

١٧- يستحب التكبير عند سماع الخبر السارّ .

١٨- تأثر الصحابة مما جرى بين النبي ﷺ ونسائه .وأكثرهم تأثّرا عمر رضي الله عنه .

١٩- اعتزال النبي ﷺ لزوجاته في غرفة صغيرة .

٢٠- أدب عمر رضي الله عنه في الاستئذان على النبي ﷺ . والاستئذان أدب إسلامي ، وهو ثلاث مرات ، فإن أُذن للإنسان ، وإلا ينصرف ، لذلك انصرف عمر رضي الله عنه بعد الثالثة .

٢١- حب النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه .

٢٢- زهد النبي ﷺ ، وبعده عن الدنيا .

٢٣- كان للنبي ﷺ بوّابا ،وخادما يجلس عند باب غرفته ، لا يسمح لأحد بالدخول عليه إلا بعد أخذ الإذن منه ﷺ .

٢٤- كان ضحكه ﷺ تَبَسُّما .

٢٥- النبي ﷺ في بيته مثل سائر البشر ، لكنه خير الناس لأهله ، فتراجعه زوجاته ، ويسألنه النفقة ، والكسوة ، وقد يحصل منهنّ الهجر له ﷺ .

٢٦- الإسلام كرّم المرأة ، ورفع مكانتها ، وأعلى شأنها ، بينما في الجاهلية نجد العكس من ذلك ، فهم يحتقرونها ، ويهينونها ، ويعدونها من سقط المتاع .ومانراه اليوم من الدعوة إلى خروج المرأة ، ومساواتها بالرجل ،واختلاطها به في مجالات العمل ؛ إلا دعوة لها لإعادتها إلى حقبة الجاهلية ، بل وأشد من ذلك ، حتى تكون بضاعة رخيصة تباع في سوق النخاسة .

٢٧- شدة عمر ﷺ ، وصلابته ، حتى في بيته .

٢٨- اهتمام المسلم بأخيه المسلم ، والسؤال عن حاله .

٢٩- مساعدة من يحتاج إلى المساعدة ، حتى ولو بدون طلب ، فهو من مكارم الأخلاق.

٣٠- اختلاف المجتمعات فكل مجتمع له عاداته وتقاليده ، فقريش يغلبون نساءهم ، والأنصار في المدينة تغلبهم نساءهم . فكانت المرأة في الأنصار، تغلب الرجل ، وتراجعه في الشيء ، ولا ترى بأسا في مناقشته ، ولو ارتفع صوتها عليه .

٣١- وجوب معاشرة الزوجة بالمعروف .

٣٢- لا بأس أن تتجوّل ببصرك في المحيط الذي تجلس فيه عند غيرك ، مالم يكن هناك هتك لعورة ، فيجب حينئذ غضّ البصر .من قول عمر : (فرفعت بصري في بيته، فوالله ما رأيت في بيته شيئا يرد البصر غير أهبة ثلاثة) .

٣٣- يُشرع في الدعاء أن يدعو الإنسان بأن يوسّع الله عليه في الرزق .

٣٤- الإشارة إلى الصلاة وأهمية أدائها مع الجماعة في المسجد .

٣٥- كرر عمر رضي الله عنه ، قوله : "فجمعت عليّ ثيابي" ، مما يدلّ على أهميّة العناية بمظهر الإنسان حين خروجه لمقابلة الآخرين .

٣٦- قول الغلام :(قد ذكرتك له فصَمَتَ) جرأة الغلام الخادم أمام النبي ﷺ ، وكلامه معه .

٣٧- نزول القرآن يكشف الحال ، ويثبّت النبي ﷺ .

٣٨- حرص عمر ﷺ على النبي ﷺ ،وخوفه من أي أمر يكدّر شرف مصاهرته ، والقرب منه ﷺ .

٣٩- قوله:(فقلت لغلام له أسود، استأذن لعمر؛ فدخل الغلام، فكلم النبي ﷺ، ثم رجع) التعامل الراقي للنبي ﷺ مع الخدم ، مع أنّه راجع النبي ثلاث مرات ، فلم يَغضب عليه ، ولم ينهره . إنما كان يسكت في كل مرّة .حتى أَذِنَ في الثالثة ﷺ .

٤٠- قوله:(فقلت لغلام له أسود) يبيّن عمر أنّ العبد المملوك ، كان غُلاما أي: شابّا ، وليس كبيرا في السنّ ، ولونه أسود ، وكان اسمه رباح.[٢٦]

٤١- وصف الخادم بأنه (غلام) أي رقيقا ، فهم من أدبهم ، وَحُسْن أخلاقهم ، يُطلقون عليه غلاما . تلطيفا ، وتواضعا ، ورِقّة في العبارات التي لا تجرح المشاعر ، وترفع من كرامة الإنسان .

(٢٦) صحيح مسلم ١١٠٥/٢ رقم ١٤٧٩ .

أَعْتقَ الخادمَ من أجل لَطْمَة

الحديث الخامس : عن معاوية بن سُوَيد، قال: لَطَمْتُ مولى لنا فهربتُ، ثم جئتُ قبيل الظهر، فصليتُ خلف أبي، فدعاه ودعاني، ثم قال: امتثلْ منه، فعَفَا، ثم قال: كُنّا بني مُقَرّن على عهد رسول الله ﷺ ليس لنا إلا خادم واحدة، فلَطَمَهَا أحدُنا، فبلغ ذلك النبيّ ﷺ فقال: «أعتقوها»، قالوا: ليس لهم خادم غيرها، قال: «فليستخدموها، فإذا استغنوا عنها، فليخلوا سبيلها» .[٢٧]

من فوائد الحديث :

١- الرفق بالمماليك، والخَدَم ، وحُسْنِ صُحْبَتِهم ، والتعامل الرفيق بهم ، فهم بشر مثلنا لكنّ الله فضّلنا عليهم بنعمته ،وسخّرهم لنا بفضله .

٢- عتقُه هنا ليس على الوجوب عند أهل العلم، وإنما هو على الترغيب ورجاء كفارة ذنبه فيه ،وظلمه له .

٣- هذا التشديد فيمن ضُرب لغير ذنب استحقه، ولم يكن على وجه التعليم والتأديب.

٤- الحثّ على العفو ، وكظم الغيظ .[٢٨]

٥- يبدو أنّ هذه اللطمة جاءت على الوجه ، وقد نهى النبي ﷺ عن الضرب في الوجه ، فقال :" ولا تضرب الوجه " رواه أبوداود وغيره.[٢٩]

---

(٢٧) صحيح مسلم ١٢٧٩/٣ رقم ١٦٥٨ .

(٢٨) إكمال المُعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض ٤٣٠،٤٢٨/٥ .

(٢٩) مسند الإمام أحمد ٢١٣/٣٣ رقم ٢٠٠١١ . و ٢١٧/٣٣ رقم ٢٠٠١٣ . و٢٢٥/٣٣ رقم ٢٠٠٢٢ . و ٢٢٩/٣٣ رقم ٢٠٠٢٧ . وقال محققوه: إسناده حسن . سنن أبي داود ٢١٠/٢ رقم ٢١٤٤ . صحيح ابن حبان ٤٨٢/٩ رقم ٤١٧٥ . وقال الألباني :إسناده حسن صحيح (صحيح أبي داود ٣٥٩/٦ رقم ١٨٥٩) .

٦- قوله:(المَوْلى) معناه هنا: العبد المَمْلوك .[٣٠]

٧- هرب معاوية بن سويد لشنيع فِعلته ، ولخوفه من عقاب والده .

٨- معاوية بن سويد بن مقرن المزني ، أَخرجه أَبو موسى، وأَبو نعيم. مشهور في التابعين، وذكره ابْنُ حِبَّان والعجلي في "ثقات التابعين". أَورده المنيعي في الصحابة. وقد ذكره أبو يعلى، والحسن بن سفيان، والبغَويّ، وابن السكن في الصحابة . قال ابن أَبِي حَاتِمٍ الرازي: حديثه مرسل. وقال أبو أحمد العسكري: ليسوا يصححون سماعَه وروايته مرسلة والراجح أنه من التابعين .

٩- فضل العِتق .

١٠- اهتمام الإسلام بهذا الصنف من الناس .

١١- قول سويد بن مقرن :(امتثلْ منه) تطبيق لمبادئ الإسلام العظيمة ، كنصرة المظلوم ، والقصاص في العقوبة ونحو ذلك .

١٢- قول سويد بن مقرن :(امتثلْ منه) يدلّ على حكمته ، وورعه ، وعدله .

١٣- قول سويد بن مقرن :(امتثلْ منه) يدل على ماكان عليه الصحابة ﷺ، من حُسْن الخُلُق ، والتواضع ، ولِين الجانب . وكلّ هذا أتى من تربية النبي ﷺ لهم .

١٤- حُسْن خُلق الخادم ، لأنّه عفا عمّن لَطَمَه .

١٥- يُطلق الخادم على المولى والعبد والمملوك .

---

(٣٠) التعريفات الفقهية للبركتي ص ٢٢١ .

النبي ﷺ يَغْمِسُ يده في أواني الخدم

الحديث السادس : عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يُؤْتَى بإناء إلا غَمَسَ يده فيها، فربما جاؤوه في الغداة الباردة، فيغمِسُ يده فيها» .[٣١]

من فوائد الحديث :

١- قوةُ إيمان الصحابة ، وتَبَركهم برسول الله ﷺ .

٢- حُسْن خُلُقِهِ ، وكرم سَجِيّتِهِ في موافقتهم ،وحمل ما يكره من برودة الماء ليبلُغُوا مُرَادَهم.[٣٢]

٣- قوله:(إذا صلى الغداة) أي : صلاة الصبح .[٣٣] وفيه التنبيه على أهمية الصلاة ، وأهمية صلاة الفجر بالذات .

٤- حُسْن خلقه ﷺ ، ومُشَاركته الجميع .

٥- إجابتُه ﷺ دعوةَ الصغير والكبير ، تأليفا لقلوبهم ، وتَطْييبا لخواطرهم .[٣٤]

٦- بيان بروزه ﷺ للناس ،وقربه منهم ليصل أهل الحقوق إلى حقوقهم، ويرشد مسترشدهم ليشاهدوا أفعاله ،وحركاته فيُقتدى بها. وهكذا ينبغي لولاة الأمور.

٧- صبرُه ﷺ على المشقة في نفسه لمصلحة المسلمين .

٨- بيان ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من التبرك بآثاره ﷺ ،وتبركهم بإدخال يده الكريمة في الآنية ،وإكرامهم إياه ، وإجلالهم وتقديرهم له .[٣٥]

---

(٣١) صحيح مسلم ١٨١٢/٤ رقم ٢٣٢٤ .

(٣٢) الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة ٣٩٤/٥ .

(٣٣) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم للهرري ١٥٣/٢٣ .

(٣٤) من ٤-٥ مستفاد من المرجع السابق .

(٣٥) من ٧-٨ مستفاد من شرح صحيح مسلم للنووي ٨٢/١٥ .

٩- (كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة)هذا الأسلوب يفيد التكرار والاستمرار ،والشأن ،والعادة ،والغالب.فأصبح هذا الصنيع سَجِيّةً من سَجَاياه ، وعادةً له ، وخُلُقا متأصّلا من أخلاقه .

١٠- قول بعض شرّاح الحديث : التبرك بآثار الصالحين.[٣٦] فيجيزون التبرك بالأولياء والصالحين قياسا على التبرك بالنبي ﷺ .وهذا القياس باطل ، ولا يصحّ . قال الشيخ ابن باز رحمه الله :(لا يجوز التبرك بأحد غير النبي ﷺ لا بوضوئه ،ولا بشعْره ،ولا بعَرَقِه ولا بشيء من جسده، بل هذا كله خاص بالنبي ﷺ لِمَا جعل الله في جسده ،وما مَسّه من الخير والبركة. ولهذا لم يتبرك الصحابة رضي الله عنهم بأحد منهم، لا في حياتــه ،ولا بعد وفاته ﷺ لا مع الخلفاء الراشدين ،ولا مع غيرهم .فدل ذلك على أنهم قد عرفوا أن ذلك خاص بالنبي ﷺ دون غيره، ولأن ذلك وسيلة إلى الشرك ،وعبادة غير الله سبحانه) .[٣٧] وقال د. محمد حسن عبدالغفّار: (مسألة التبرك من أهم المسائل ، وأخطرها . ذلك لأن كثيراً من الناس يتبركون ببعض الصالحين ويلتمسون البركة منهم، وهذا فيه من الخطر والبلاء ما الله به عليم، وذلك من جهتين: من جهة الشخص الصالح، فإنه قد يَغترّ بذلك ،ويؤدي إلى هلاكه، ومن جهة العامة، فإنهم قد يُغلُون فيه ،ويوصلونه إلى منزله الإلهية والعياذ بالله .والتبرّك خاص برسول الله ﷺ وليس لأحد أن يداني النبي ﷺ في منزلته، فلذلك لا يجوز التبرك بالصالحين ، ولا بآثارهم).[٣٨]

---

(٣٦) شرح صحيح مسلم للنووي ٨٢/١٥ . الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة ٣٩٤/٥ . المفاتيح في شرح المصابيح للحسين المُظهري ١٤٢/٦ . .فتح المنعم شرح صحيح مسلم د.موسى لاشين ١٧٢/٩ .وغيرهم .

(٣٧) فتوى بعنوان : حكم التبرك بالصالحين . الموقع الرسمي لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله .

(٣٨) محاضرة مقروءة د. محمد حسن عبدالغفّار شرح الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد .التبرك٢ ، موقع إسلام ويب .

١١- قوله:(فربما جاؤوه في الغداة الباردة، فيغمس يده فيها) أي في الأواني، وهذه الجملة تصوير للمبالغة في الإجابة .[٣٩]

١٢- تلطّفه ﷺ مع هؤلاء الخدم ، وعدم تضجّره منهم .

(٣٩) فتح المنعم شرح صحيح مسلم د.موسى لاشين ١٧٢/٩ .

غلامٌ يهوديٌّ يَخْدِمُ النبي ﷺ

الحديث السابع : عن أنس رضي الله عنه ، قال: كان غلام[٤٠] يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يَعُودُه، فقَعَدَ عند رأسه، فقال له: «أَسْلِم»، فنظر إلى أبيه ،وهو عنده فقال له: أَطِعْ أبا القاسم ﷺ ، فأَسْلَمَ، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار» .[٤١]

من فوائد الحديث :

١-تواضع النبي ﷺ .

٢-جواز خدمة الكافر للمسلم .

٣-خدمة الصغير للكبير .

٤-حرص النبي ﷺ على هداية الناس ، ومنهم هذا الغلام .

٥-على المسلم ألا ييأس ، ويقنط من رحمة الله وفضله .

٦-أهمية الدعوة إلى الله .

٧-فضل طاعة الوالدين ، وأنها لا تأتي إلا بخير.

٨-فرحة النبي ﷺ وابتهاجه بإسلام الصبي.

٩-زيارة النبي ﷺ ، وهو الرسول والقائد العظيم لهذا الغلام الصغير، والذي ليس له تأثير في المجتمع ، ولا يؤبه له ، كان له الأثر الكبير على والده مما جعله يبادر لابنه سريعا بقوله "أطع أبا القاسم ".فمثلا :زيارة الشيخ لتلميذه ، لها أثر كبير في رفع همته ، ويبقى أثر هذه الزيارة حدثا محفزا في حياته ، ورمزا حاضرا في ذاكرته.

---

(٤٠) الغلام هو : المميز حتى يبلغ . تيسير العلام للبسام ٢٣/١.

(٤١) صحيح البخاري ١٩٤/١ رقم ١٣٥٦ .وهذا الحديث نقلته من كتابي (خمسون موقفا للنبي ﷺ مع اليهود ج١) ص٦ وأضفت عليه .

١٠-جواز عيادة المسلم للكافر إذا مرض .

١١-حسن العهد من النبي ﷺ لجاره اليهودي .

١٢-عَرْضُ الإسلام على الصغير ، وصحته منه .

١٣-أنّ الصغيرَ إذا عَقَلَ الكُفْرَ ومات عليه ؛ فإنه يعذّب في النار . [٤٢]

١٤- ألاّ نحتقر الصغار ، فإنه يأتي منهم الخير .

١٥- لا بدّ من العمل لهذا الدين ، وأن يبذل الإنسان مالديه قدر استطاعته .

١٦- كان مرض الغلام شرّا أصيب به ، لكنه ليس شرّا مطلقا ، بل كان فيه خيرا كثيرا ، إذْ كان سببا في مجيئ النبي ﷺ ، وكان النبي ﷺ سببا في إسلام الغلام اليهودي ، وإنقاذه من النّار .

١٧- على المسلم أن يحمد الله على كل حال .

١٨- اهتمام النبي ﷺ بهذا الصنف من الناس .

١٩- قول والد الغلام: (أَطِعْ أبا القاسم ﷺ) اليهودي قال : أطع أبا القاسم ، أما زيادة الصلاة والسلام على النبي ﷺ ،فإنها من الراوي المُسلم ، الذي يُحِبّ النبي ﷺ.

٢٠- قول والده: (أَطِعْ أبا القاسم ﷺ) فيه دلالة على معرفتهم بصدق النبي ﷺ .

٢١- قول والده: (أَطِعْ أبا القاسم ﷺ) فيه دلالة على لِينِ طَبْع والد الغلام ، في هذا الجانب خاصّة .

---

[٤٢] من ١٠-١٣ مستفاد من فتح الباري لابن حجر ٣/٢٢١ .

طُلِب من الخادِم الحِرَاسَة فنام

الحديث الثامن : عن يزيد بن صُليح[٤٣] عن ذي مخمر(رضي الله عنه) وكان رجلا من الحبشة يخدم النبي ﷺ ، قال: كنّا معه في سفر، فأسرع السير حين انصرف، وكان يفعل ذلك لقلّة الزاد، فقال له قائل: يا رسول الله، قد انقطع الناس وراءك، فحَبَسَ، وحبس الناس معه حتى تكاملوا إليه، فقال لهم: " هل لكم أن نَهْجَعَ هَجْعَة؟ " –أو قال له قائل– فنزلَ ونزلوا، فقال: " من يكلؤنا الليلة؟ " فقلت: أنا، جعلني الله فِدَاءك، فأعطاني خِطَام ناقته، فقال: " هاك لا تكوننّ لكع ". قال: فأخذت بخطام ناقة رسول الله ﷺ وخطام ناقتي، فتنحيتُ غير بعيد، فخلَّيْتُ سبيلَهُما يرعيان، فإني كذاك أنظر إليهما حتى أخذني النوم، فلم أشعر بشيء حتى وجدتُ حرّ الشمس على وجهي، فاستيقظتُ، فنظرتُ يمينا وشمالا فإذا أنا بالراحلتين مني غير بعيد، فأخذتُ بخطام ناقة النبي ﷺ وبخطام ناقتي، فأتيتُ أدنى القوم فأيقظتُه، فقلت له: أصليتم؟ قال: لا، فأيقظ الناس بعضهم بعضا، حتى استيقظ النبي ﷺ فقال: " يا بلال، هل في الميضأة ماء " – يعني الإداوة – قال: نعم، جعلني الله فداءك، فأتاه بوضوء، فتوضأ لم يَلُتْ منه التراب، فأمر بلالا فأذن، ثم قام النبي ﷺ ، فصلى الركعتين قبل الصبح، وهو غير عَجِل، ثم أمَرَه، فأقام الصلاة، فصلى وهو غير عَجِل، فقال له قائل: يا نبي الله فرَّطْنا؟ قال: " لا ! قَبَضَ الله عز وجل أرواحنا ،وقد ردّها إلينا، وقد صلّينا " .[٤٤]

من فوائد الحديث :

١– اتخاذ الحراسة .[٤٥]

---

(٤٣) يزيد بن صالح ، ويُقال: ابْن صليح، ويُقال: ابْن صبيح، الرحبي الحمصي.من التابعين ،ذكره ابنُ حِبَّان في كتاب "الثقات" روى له أَبُو دَاوُدَ .(تهذيب الكمال للمزّي ١٦٢/٣٢ رقم الترجمة ٧٠٠٥) .

(٤٤) مسند الإمام أحمد ٢٨/٢٨ رقم ١٦٨٢٤ .وقال محققوه : إسناده حسن .مسند الشاميين ١٤٤/٢ رقم ١٠٧٤ .

(٤٥) التَّحبير لإيضَاح مَعَاني التَّيسير للصنعاني ٢٦١/٧ .

٢- بيّن أحد رواة الحديث بأن الصحابي؛ الذي روى الحديث عن النبي ﷺ يتميّز بصفتين ،الأولى : أنّه من الحبشة ، والثانية: أنّه ممن خَدَم النبي ﷺ.

٣- هذا الخادم لم يمنعه حاله أن يكون ممن يروي الحديث عن النبي ﷺ .

٤- على الرُّغْمِ أنّه كان خادما ، وعبدا حبشيا ؛ إلاّ أنّه تشرّف بخدمة النبي ﷺ ، وأصبح صحابيا .

٥- بيّن الصحابي أنّ هذه القصّة جرت لهم في السفر .

٦- أسرع النبي ﷺ السير بالناس رحمة بهم ، لأنّه لا زادَ لهم .

٧- ضَنَك العيش في ذلك الزمان .

٨- قوله: (حين انصرف) يدلّ على رجوعه من غزوة .

٩- قوله:(هل لكم أن نَهْجَع هَجْعة) الهُجُوع النوم ليلا ،والهَجَعُ والهَجْعَةُ والهجيع طائفة من الليل ،والمراد هنا النوم القليل.(٤٦)

١٠- معنى (اللُكَع) في اللغة العبد ،ثم استعمل في الحُمْقُ ،والذم وأكثر مجيئه في النداء ،وهو اللئيم .وقيل :الوَسِخ . ؛ويطلق على الصغير فإن أُطلق على الكبير أُريد به صغير العلم والعقل، والمعنى لا تكونن كالصغير في الجهل بالوقت ،وغَلَبَة النوم .

١١- قوله:(فتوضأ لم يَلُتْ منه التراب) أي: لم يتساقط من ماء وضوئه شيء يختلط بالتراب . وهو من لَتّ السويق إذا خلطه بشيء .وهو كناية عن تخفيف ماء الوضوء ، إمّا لِقِلّة الماء ، أو عدم الإسراف فيه .

١٢- قوله:(يا نبي الله فرّطنا ، قال: لا، قبض الله عز وجل أرواحنا وقد ردّها إلينا وقد صلّينا) أخبرهم النبي ﷺ بأنه ليس في ذلك تقصير منا. فإنّ

(٤٦) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني للساعاتي ٣٠٨/٢ .

أرواحنا بيد الله عز وجل ،وليس في النوم تفريط ولا تقصير ،وقد أدّينا ما علينا حين رد الله أرواحنا إلينا .[٤٧]

١٣- وجوب قضاء الفائتة .

١٤- استحباب صلاة الفائتة في جماعة .

١٥- استحباب الأذان والإقامة للصلاة الفائتة .

١٦- الظاهر أن قصة نومهم في الوادي كانت غير مرة . ورجحه النووي .[٤٨]

١٧- لم يُعَنّف النبي ﷺ هذا الخادم .

١٨- اللطْفُ ، واللينُ في تعامل النبي ﷺ حين وقوع الخطأ .

١٩- حُسن تعامل النبي ﷺ مع الخَدَم .

٢٠- مانقرأه في هذا الحديث ، وغيره من حُسْن تعامل النبي ﷺ مع الخَدم ، هي قواعد يسير عليها المسلم ، ومنهج قويم ينير له الطريق .

---

(٤٧) من ١٠-١٢ مستفاد من المرجع السابق .

(٤٨) من ١٣-١٦ مستفاد من الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني للساعاتي ٣٠٩/٢ .

إعانة الخادم الذي يريد العِتق

الحديث التاسع: عن عائشة رضي الله عنها قالت: دَخَلَتْ عليَّ بُرَيْرَة، فقالت: إنّ أهلي كاتبوني على تسعِ أواقٍ في تسعِ سنين، في كل سنة أوقية فأعينيني، فقلت لها: إن شاء أهلك أن أعدّها لهم عَدّةً واحدة وأُعْتِقَك، ويكون الولاء لي فعلتُ، فذكَرَتْ ذلك لأهلها فأبوا إلا أن يكون الولاء لهم، فأتتني فذكرَتْ ذلك قالت: فانتهرتُها، فقالت:لاها الله إذا قالت،فسمع رسول الله ﷺ ، فسألني، فأخبرته، فقال: «اشتريها وأعتقيها، واشترطي لهم الولاء، فإن الولاء لمن أعتق»، ففعلتُ، قالت: ثم خطب رسول الله ﷺ عشية، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، فما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله، ما كان من شرط ليس في كتاب الله عز وجل فهو باطل، وإن كان مائة شرط، كتاب الله أحقّ، وشرط الله أوثق، ما بال رجال منكم يقول أحدهم أعتق فلانا ،والولاء لي، إنما الولاء لمن أعتق» .[٤٩]

من فوائد الحديث :

١- اختلف الناس في قوله: " اشْتَرطي لهم الولاء " فذهب بعضهم إلى أنّ هذه اللفظة لا تَصِحّ في الرواية ، وأنّها شيء تَفَرَّد به مالك ، عن هِشام ابن عُروة ، لم يُتابع عليه. وكان يحيى بن أَكْثَم ، يقول: هذا لا يجوز على رسول الله ﷺ ولا يُتَوَهّم أنّه يأمر بغُرور أحَد. وتَأَوَّله بعضهم فقال: مَعنى " لهم " في هذا معنى " عليهم " ، كقول الله عزّ وجلّ: [أولئك لهم اللعنة] ، والمعنى: عليهم اللعنة ، وإليه ذَهَب المُزَنيّ. وليس الأمرُ على ما ذهبوا إليه ، وقد

---

[٤٩] صحيح البخاري ٣/٧١ رقم ٢١٥٦ . ٣/١٥٢ رقم ٢٥١٦ . ٢٥٦١ . ٢٥٦٣ .صحيح مسلم ٢/١١٤٢ رقم ١٥٠٤ .

تابع مالكا في روايته عن هِشام بن عروة ، جرير بن عبد الحميد ، وأبو أسامة .[٥٠]

٢- قام الإجماع على أن من اشترط في البيع شرطا لا يَحِلّ ؛ أنه لا يجوز شيء منها ؛ عملا بهذا الحديث .

٣- اختلفوا في غيرها من الشروط على مذاهب مختلفة، فذهبت طائفة إلى أن البيع جائز، والشرط باطل على نص حديث بريرة، وهو قول ابن أبي ليلى والحسن البصري والشعبي والنخعي والحكم وابن جرير، وبه قال أبو ثور، قالوا: ودل هذا الحديث أن الشروط كلها في البيع تبطل وتثبت البيوع .

٤- وذهبت أخرى إلى جوازهما(أي :جواز البيع ، وجواز الشرط)، واحتجوا بحديث جابر في بيعه ،واستثنائه حمله إلى المدينة، روى ذلك عن حماد وابن شبرمة وبعض التابعين. وذهبت ثالثة إلى بطلانها(أي :بطلان البيع، وبطلان الشرط) واحتجوا بحديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: أن النبي ﷺ : نهى عن بيع وشرط ، وهو قول عمر ،وولده وابن مسعود والكوفيين والشافعي .

٥- قال ابن المنذر: وقد أبطل الشارع ما اشترطه أهل بريرة من الولاء وأثبت البيع، فمثال هذا أن كل من اشترط في البيع شرطا خلاف كتاب الله وسنة رسوله أن الشرط باطل والبيع ثابت؛ استدلالا بحديث بريرة، واشتراط البائع على المشتري أن لا يبيع ولا يهب شروطا ينبغي إبطالها وإثبات البيع .[٥١]

٦- حديث بريرة أصل في العقوبة بالأموال؛ لأن مواليها أبوا الوقوف عند حكم الله وحكم السنة، فلما عَرّفَت عائشة رسول الله ﷺ بإبائهم واستمرارهم

---

(٥٠) أعلام الحديث شرح صحيح البخاري للخطابي ١٠٥٦/٢-١٠٥٧ .

(٥١) من ٢-٥ مستفاد من التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقّن ٤٢٢/١٤ -٤٢٥ .

على خلاف الحق باشتراطهم ما لا يجوز، قال لها: "اشترطي لهم ذلك" فإن ذلك غير نافعهم ، ولا ناقض لبيعهم، فعاقبهم في المال بعشر ما وضعوا من الثمن، من أجل اشتراط الولاء ، واستبقائه لهم .[٥٢]

٧- جواز السؤال للضرورة. لقولها: أعينيني.

٨- جواز أخذ المكاتب للزكاة: وهو المعني بقوله {وفي الرقاب} [التوبة: ٦٠] خلافا لمالك.

٩- جواز بيع المكاتَب .[٥٣]

١٠- خطبته ﷺ على رؤوس الأشهاد أبلغ في النكير ،وأوكد في التنفير.[٥٤]

١١- قوله:(كتاب الله أحق وشرط الله أوثق) يعني قوله تعالى: {فإخوانكم في الدين ومواليكم} [الأحزاب: ٥] وقوله: {وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه} [الأحزاب: ٣٧] فأثبت الولاء للمُعْتِق.

١٢- الابتداء بالحمد عند الموعظة.

١٣- أن المسئول لا يجب عليه أن يعطي سائلَه ؛ إذا لم يَخَفْ عليه هَلَكَة من موت أو أسر.[٥٥]

١٤- حديث بريرة كثير السُنن ،والعِلْم ،والأدب.

١٥- جواز إعطاء الصدقات لموالي قريش .

١٦- حسن الأدب والعشرة عند النبي ﷺ من قوله: (ما بال رجال) ولم يواجههم بالخطاب، ولا ذكر أسماءهم.

---

(٥٢) المرجع السابق ٤٢٨/١٤

(٥٣) من ٧-١٠ مستفاد من التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقّن ٤٣٠/١٤ .

(٥٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقّن ١٤/ ٤٣٢ .

(٥٥) من ١١-١٣ مستفاد من المرجع السابق .

١٧- جواز الصَّدَقة على العبد؛ لاستسعائها عائشة، ولم ينكر ذلك النبي ﷺ وذلك في التطوع، وكذلك معونة المكاتب من التطوع.

١٨- يجوز للمرأة أن تَبيعَ وتشتري بغير إذن زوجها.وأن تُعتق عبدها وأَمَتَهَا.

١٩- البيان بالفعل أقوى منه بالقول ؛ ولهذا أمر ﷺ عائشة باشتراط الولاء لهم. وقد جاء من رواية أيمن عن عائشة: "اشتريها ودعيهم يشترطون ما شاؤوا "، فاشترتها وأعتقتها، وشرط أهلها الولاء.(٥٦)

(٥٦) من ١٤-١٩ مستفاد من إكمال المُعْلِم بفوائد مسلم للقاضي عياض ١١١/٥-١١٤ .

ارفق يا أنْجشةُ بالقوارير

الحديث العاشر : عن أنس بن مالك ﷺ ، قال: كان النبي ﷺ في مَسِيْرٍ له، فحَدَا الحادي، فقال النبي ﷺ : «ارفق يا أنجشةُ، وَيْحَكَ بالقَوارِير» .[٥٧]

من فوائد الحديث :

١- قوله:(ارفق.. بالقوارير) كان في سَوْق الغلام عُنفٌ، فأمره أن يَرفق بالمطايا، فيسُوقُهنّ كما تساق الدابة إذا كانت تحملُ القوارير.[٥٨]

٢- وفيه معنىً آخر: وهو أن الغلام كان حَسَنَ الصوت بالحِدَاء، فكَرِهَ أن يُسْمِعْهُنّ الحداء، فإنّ حُسْنَ الصوت يُحَرّكُ من نُفوسِهِنّ، فشبّه ضِعفَ عزائمهنّ، وسرعة تأثير الصوت فيهنّ بالقوارير في سُرعة الآفة إليها.[٥٩]

٣- جواز الحِداء .[٦٠] فسماع الحِداء ،ونشيد الأعراب لا بأس به؛ فإنّ النبي ﷺ قد سمعه ،وأقرّه ولم ينكِرْه.[٦١]

٤- إذا أراد الحَدّاءُ حَثّ الإبِل على سُرعة السير، فإنه يُشار إلى الحادي بالرفق في ذلك .[٦٢]

٥- تشبيه النساء بالقوارير ،هذه اللفظة من أحسن ما عبر بها عن النساء.[٦٣]

٦- الحِداء : سَوْقُ الإبِلِ ،والغناء لها من القريض والرَّجَز؛ وقد يكون فيه تَشْبِيبٌ بالنساء ، والتَّغزّلُ بِهِنّ .[٦٤]

---

(٥٧) صحيح البخاري ٣٥/٨ رقم ٦١٤٩ . ٣٨/٨ رقم ٦١٦١ . ٤٧/٨ رقم ٦٢٠٩ . رقم ٦٢١٠ . رقم ٦٢١١. واللفظ له . صحيح مسلم ١٨١١/٤ رقم ٢٣٢٣ .

(٥٨) أعلام الحديث شرح صحيح البخاري للخطّابي ٣/ ٢٢٠٣ .

(٥٩) المرجع السابق .

(٦٠) الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة ١٥٤/٥ .

(٦١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن المُلقّن ٥٤٨/٢٨ .

(٦٢) الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة ١٥٤/٥ .

(٦٣) المرجع السابق ١٥٥/٥ .

(٦٤) المُعْلِم بفوائد مُسلم للمازري ٢٢١/٣ . التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن المُلقّن ٥٤٢/٢٨ .

٧- وفي الطبراني [٦٥]من حديث واثلة أنه ﷺ أخرج أنجشة، وأخرج عمر فلانا. وكانوا هؤلاء على عهد رسول الله ﷺ كان فيهم لِيْنٌ في القول ،وخِضَابةٌ في الأيدي والأرجل ، ولا يُرْمَوْنَ بفاحشة . [٦٦]

٨- الشعر والرجز والحِداء كسائر الكلام، فما كان فيه ذكر تعظيم الرب ووحدانيته وقدرته وإيثار طاعته ،وتصغير الدنيا والاستسلام له تعالى، فهو حَسَنٌ مُرَغّبٌ فيه، وهو الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام : "إنّ من الشعر حكمة".[٦٧] وما كان منه كذبا أو فحشا فهو الذي ذمه الله ورسوله ﷺ .

٩- هذا الحديث فيه ردٌّ على من نهى عن قليل الشعر وكثيره .

١٠- كان ﷺ يتمثّل أحيانا بالبيت فقال: "هل أنت إلا أصبع دُمِيْتِ" [٦٨] إلى آخره. وقال: "أصدق كلمة قالها الشاعر".[٦٩] تمثّل بأول البيت وترك آخره. وقالت عائشة رضي الله عنها : كان النبي ﷺ يتمَثّل من الشعر: ويأتيك بالأخبار من لم تزود. [٧٠] وكان عامر بن الأكوع يحدو بالشعر بحضرته المشرفة. وقال: "من هذا السائق؟ " قالوا: عامر. فقال: "يرحمه الله".وأمر حسان بن ثابت وغيره بهجاء المشركين، وأَعْلَمَهُم أن (لهم على ذلك) جزيل الأجر وقال: "هو أشد عليهم من نَضْح النَّبْل" . [٧١]

---

(٦٥) المعجم الكبير للطبراني ٨٥/٢٢ رقم ٢٠٥ .

(٦٦) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن المُلقّن ٤٨٠/٢١ .

(٦٧) صحيح البخاري ٣٤/٨ رقم ٦١٤٥ .

(٦٨) صحيح البخاري ١٨/٤ رقم ٢٨٠٢ . ٣٤/٨ رقم ٦١٤٦ . صحيح مسلم ١٤٢١/٣ رقم ١٧٩٦ .

(٦٩) صحيح البخاري ٤٢/٥ رقم ٣٨٤١ . ٣٥/٨ رقم ٦١٤٧ .

(٧٠) مسند الإمام أحمد وأخرجه في عدّة مواضع منها: ٢٤/٤٠ رقم ٢٤٠٢٣ . ٥١٦/٤١ رقم ٢٥٠٧١ قال محققوه: إسناده صحيح .السنن الكبرى للنسائي ٣٦٦/٩ رقم ١٠٧٦٧ . سنن الترمذي ١٣٩/٥ رقم ٢٨٤٨ . وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥٦/٥ رقم ٢٠٥٧ .

(٧١) من ٩-١٠ مستفاد من التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن المُلقّن ٤٨٠/٢١ .

١١- تشبيهه عليه الصلاة والسلام النساء بالقوارير من الاستعارة البديعة؛ لأنّ القوارير أسرع الأشياء تَكَسُّرا، فأفادت الاستعارة ههنا من الحضِّ على الرفقِ بالنساء في السَّيْر ما لم تفده الحقيقة؛ لأنه لو قال: ارفق في مَشْيِكَ بِهِنَّ أو تَرَسّل، لم يُفهم من ذلك أن التحفّظَ بالنساء كالتحفظِ بالقوارير، كما فُهِمَ ذلك من الاستعارة؛ لتضمُّنِها من المبالغة في الرفق ما لم تتضمنه الحقيقة. (٧٢)

١٢- أنجشة: غلام أسود لرسول الله ﷺ ، ذكروه في الصحابة . (٧٣) وهو ممن خَدَم النبيّ ﷺ .

١٣- قوله:(ويْحك) كلمة زجر لمن أشرف على الهلاك . وقيل : وَيْحٌ كلمة لمن وقع في هَلَكَةٍ لا يستحقها فيُرثى له ، ويُتَرحّمُ عليه. ولا يراد بهذا اللفظ الدعاء، وإنما يراد به المدح ،والتعجّب. (٧٤)

١٤- قوله (في مَسِيرٍ له) أي: في سَفْرة له ﷺ .وهي حجة الوداع . (٧٥)

١٥- قوله:(رويدك) اسم فعل أمر بمعنى أَرْوِد . وقال الراغب: رويدًا من أرود يرود كأمهل يمهل وزنًا ومعنى من الرود ،وهو التردد في طلب الشيء برفق. وقال الرامهرمزي: رويدًا تصغير رود فعل الرائد، ولم يُستعمل رود بمعنى المهلة إلا مُصغرًا . (٧٦)

١٦- والقوارير جمع قارورة وهي الزجاجة، سُميت بذلك لاستقرار الشراب فيها، وأراد بها رسول الله ﷺ النساء ،وهي كناية لطيفة لأن المرأة تشابه الزجاجة في رقَّتها ولطَافتِها ،وضَعْف بُنيتها .يعني بالقوارير ضعفة النساء شبههنّ

---

(٧٢) المرجع السابق ٥٥٣/٢٨ .
(٧٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن المُلقّن ٥٥٣/٢٨ .
(٧٤) إكمال المُعْلِم بفوائد مسلم للقاضي عياض ٢٨٨/٧ .
(٧٥) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم للهرري ١٤٨/٢٣ .
(٧٦) المرجع السابق .

بالقوارير لسرعة تأثرهن ،ولعدم تجلُّدِهنّ ، فخاف عليهنّ من حَثّ السير وسرعته سقوط بعضهن ،أو تألُّمِهِنّ بكثرة الحركة ،والاضطرابِ الذي يكون عن السرعة والاستعجال . وقيل: إنه خاف عليهن الفتنة .[٧٧]

١٧- القوارير يضرب بها المثل في سرعة الكسر ، وعدم قبول الإصلاح والجبر.

١٨- الإسلام يعتز بالمرأة، ويصونها، ويعتبر حَصَانتها أساس حياتها، من هنا أحاطها بسياج من وسائل الحفظ والتكريم .

١٩- ها هو رسول الله ﷺ يسافر ببعض نسائه، فيهيئ لهن الركائب، ويعد لهن الهوادج، ويخصص لهن عبدا خادما، يقودُهنّ، ويراعي مصالحهنّ، ويحدو لهن، ولا يكتفي بذلك، بل يرعى بنفسه شئونهن، ويتعهد أحوالهن، فيذهب إلى رَحْلِهنّ بنفسه، يطمئن عليهن، ويوصي بهنّ وبراحتهنّ، فيقول للخادم: يا أنجشة، ارفق بهنّ في سَوْقِك، وارفُق بهن في حَدْوك وغِنَائِك، فإنهن كالقوارير، فهل رأيت حنانا ورقَّة ،وعطفا على النساء مثل هذا؟ ﷺ .

٢٠- جواز السفر بالنساء.

٢١- استعمال المجاز.

٢٢- مباعدة النساء من الرجال، قال النووي: ومن سماع كلامهم إلا الوعظ ونحوه.

٢٣- ذكر البخاري هذا الحديث تحت باب: المعاريض مندوحة عن الكذب، والمعاريض جمع مِعْراض من التَّعْريض بالقول، وهو خلاف التصريح، وهو التورية بالشيء عن الشيء، والتعريض كلام له وجهان فيه صِدْقٌ وكَذِب، أو باطنٌ وظاهر، ويطلق أحدهما ويراد لازمه، والمراد هنا قوله "رفقا بالقوارير" فإنه كَنَى بذلك عن النساء.[٧٨]

---

(٧٧) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم للهرري ١٤٩/٢٣ .

(٧٨) من ١٧-٢٣ مستفاد من فتح المنعم شرح صحيح مسلم د. موسى لاشين ١٦٧/٩ .

٢٤- بلاغة النبي ﷺ .

٢٥- قوله:(فقال النبي ﷺ : «ارفق يا أنجشةُ) الخُلُق الكامل من النبي ﷺ، وحُسْن التعامل مع الخَدَم ،.فلم يَنْهَرْه ، أو يضْربه .

٢٦- كانوا يقطعون طول الطريق في السفر بالنشيد والشعر .

ربيعة بن كعب يخدم النبي ﷺ

الحديث الحادي عشر : عن ربيعة بن كعب رضي الله عنه قال: كنتُ أخدمُ رسول الله ﷺ، وأقوم له في حوائجه نهاري أجمع ،حتى يصلي رسول الله ﷺ العشاء الآخرة فأجلس ببابه، إذا دخل بيته أقول: لعلها أن تَحْدُثَ لرسول الله ﷺ حاجة فما أزال أسمعه يقول رسول الله ﷺ : " سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله وبحمده "، حتى أَمَلّ فأرجع، أو تغلبني عيني فأرقد، قال: فقال لي يوما لما يرى من خِفَّتِي له، وخِدمتي إياه: " سلني يا ربيعة أُعْطِك "، قال: فقلت: أنظر في أمري يا رسول الله ثم أُعْلِمُك ذلك، قال: ففكرتُ في نفسي فعرفتُ أن الدنيا منقطعة زائلة، وأنّ لي فيها رزقا سيكفيني ويأتيني، قال: فقلت: أسأل رسول الله ﷺ لآخرتي فإنه من الله عز وجل بالمنزل الذي هو به، قال: فجئت فقال: " ما فعلتَ يا ربيعة؟ "، قال: فقلت: نعم يا رسول الله، أسألك أن تشفع لي إلى ربك فيعتقني من النار، قال: فقال: " من أمرك بهذا يا ربيعة؟ "، قال: فقلت: لا والله الذي بعثك بالحق ما أمرني به أحد، ولكنك لما قلت: سلني أعطك وكنت من الله بالمنزل الذي أنت به نظرت في أمري، وعرفت أن الدنيا منقطعة وزائلة وأن لي فيها رزقا سيأتيني فقلت: أسأل رسول الله ﷺ لآخرتي، قال: فصمت رسول الله ﷺ طويلا ثم قال لي: " إني فاعل فأعني على نفسك بكثرة السجود ".[٧٩]

من فوائد الحديث :

١- السجود غايته التواضع لله، والعبودية له، وتمكين أَعَزّ عضو في الإنسان وأرفعه ،وهو وجهه من أدنى الأشياء، وأخسِّها وهو التراب، والأرض المَدُوسِةِ بالأرجل والنعال، وأصله في اللغة: الميل.[٨٠]

---

(٧٩) صحيح مسلم ٣٥٣/١ رقم ٤٨٩ . مسند الإمام أحمد ١١٨/٢٧ رقم ١٦٥٧٩ قال محققوه: إسناده حسن . واللفظ له .المعجم الكبير للطبراني ٣٦٥/٢٠ رقم ٨٥١ . وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٣٨/٥ رقم ٢١٠٢.

(٨٠) إكمال المُعلِم بفوائد مسلم للقاضي عياض ٤٠٣/٢ .

٢- الحثّ على كثرة السجود والترغيب فيه .

٣- فيه دليل لمن يقول تكثير السجود أفضل من إطالة القيام .[٨١] وذهبت طائفة أخرى إلى أن طول القيام أفضل، مُتمسكين بقوله ﷺ : "أفضلُ الصلاةِ طُولُ القُنوتِ" رواه مسلم والترمذي من حديث جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما، وفسروا القنوت بالقيام كما قال تعالى: {وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} ذكر هذه المسألة والخلاف فيها الترمذي. والصحيح من فعل النبي ﷺ أنه كان يُطَوّل في قيام صلاة الليل ، وداوم على ذلك إلى حين موته فدل على أن طول القيام أفضل.[٨٢]

٤- يحتمل أن يقال إن ماذُكِر في الفقرة السابقة ؛ يرجع إلى حال المصلي فرُبّ مُصَلٍّ يحصل له في حال القيام من الحضور ،والتدبر والخشوع ما لا يحصل له في السجود، وربّ مُصَلّ يحصل له في السجود من ذلك ما لا يحصل له في القيام ،فيكون الأفضل له هذه الحال التي حصل له فيها ذلك المعنى الذي هو روح الصلاة .[٨٣]

٥- قوله: (بكثرةِ السجود لله) أي : الزم السجود . يعني الأعداد لا الإطالة أي بكثرة الصلاة من النوافل، من إطلاق الجزء وإرادة الكلّ، والمراد به السجود في الصلاة .[٨٤]

٦- قوله:(كنت أخدم رسول الله ﷺ وأقوم له في حوائجه نهاري) المراد أنّه كان قريبا منه ، مُلازما لخدمته .

---

(٨١) من ٣-٤ مستفاد من شرح صحيح مسلم للنووي ٤/٢٠٦ .
(٨٢) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم للهرري ٧/٣٩١ .
(٨٣) المرجع السابق .
(٨٤) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم للهرري ٣/٣٨٩ .

٧- قوله ﷺ :(سَلْ) إياي يا ربيعة أي اطلب مني حاجة في مقابلة خدمتك لي .

٨- قوله:(من أَمَرَك بهذا يا ربيعة؟) سؤال استفهام يحتاج إلى إجابة صادقة . لأنه سؤال كبير . وفيه امتحان له من النبي ﷺ لينظر هل هذا السؤال من فِكْره ، أو أملاه عليه أحدٌ من الناس . [٨٥]

٩- (قوله فأعني على نفسك بكثرة السجود) أي كن عونًا لي على إصلاح نفسك ،وجعلها طاهرة مُسْتَحِقّة لما تطلبه بكثرة الصلاة . [٨٦]

١٠- حث الرئيس على الاهتمام بأمر مرؤوسيه، وسؤاله إياهم ما يحتاجونه .

١١- جواز طلب الرتب الرفيعة .

١٢- أن من الناس من يكون مع الأنبياء في الجنة .

١٣- الحث على مجاهدة النفس ،وقهرها بكثرة الطاعة .

١٤- إن نيل المراتب العَليّة ؛ إنما يكون بمخالفة النفس الدنيّة .

١٥- فضل الصلاة، وأن كثرتها سبب لعلو الدرجات ومصاحبته ﷺ في دار الكرامات . [٨٧]

١٦- قوله:(بوَضوئه) بفتح الواو، أي بالماء الذي يُتَوضّأ به (وبحاجته) أي بما يحتاج إليه في أمر الطهارة وغيرها، فهو من عطف العام على الخاص. [٨٨]

١٧- تعظيم الحاجة التي طلبها ربيعة رضي الله عنه ، وأنها تحتاج إلى معاونة منه، ومجرد السؤال بطلبها لا يكفي فيها.

١٨- الهمّة العالية عند ربيعة رضي الله عنه .

---

(٨٥) من ٦-٨ مستفاد من المرجع السابق ٣٩٠/٧-٣٩١ .

(٨٦) المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود للسبكي ٢٤٩/٧ .

(٨٧) من ١١-١٦ مستفاد من المرجع السابق .

(٨٨) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى لمحمد بن علي بن آدم الإثيوبي ١٤/١٤ .

١٩- أهميّة إصلاح النفس وتطهيرها وتزكيتها لكي ترتقي لأرفع المقامات.[٨٩]

٢٠- فضل الأعمال الصالحة .

٢١- صلاة النافلة باب عظيم من أبواب الخير .

٢٢- الخِدْمَة فيها مَشَقّة ، وثِقّلٌ على النّفس .ومع ذلك هذا الصحابي يجد فيها مُتعة ، وراحة في جناب النبي ﷺ .

٢٣- أهميّة مكافأة العامل لقاء خِدْمته ، لما فيه من زيادة المحبّة من العامِل لِمَخْدُومه، والتحفيز له على إتقان العمل .

٢٤- مشروعية الوصيّة ، والنصيحة .

٢٥- قوله:(سلني يا ربيعة أُعْطِك) لا يقول هذا إلاّ من كان قادرا على العطاء، ومُستطيعا لِمَا يُطْلب منه ،وأحرى بذلك النبي ﷺ ؛ لأنّه مؤيّدٌ من الله سبحانه.

٢٦- الصحابة رضوان الله عليهم ، بذلوا نُفوسهم رخيصة لنبيهم ﷺ .

---

(٨٩) من ١٧-١٩ مستفاد من المرجع السابق .

أَلْبِس خادمَك مما تلبس ، وأطْعِمْه مما تأكل

الحديث الثاني عشر : عن المعرور بن سُوَيْد، قال: لَقِيْتُ أبا ذر بالرَّبَذَة، وعليه حُلّةٌ، وعلى غلامه حُلَّة، فسألتُه عن ذلك، فقال: إني سابَبْتُ رجلا فعَيَّرْتُه بأمّه، فقال لي النبي ﷺ : «يا أبا ذَرٍّ أعيّرْتَهُ بأمّه؟ إنّك امرؤ فيكَ جاهلية، إخوانُكم خَوَلُكُم، جَعَلَهُم اللهُ تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فلْيُطْعِمه مما يأكلُ، ولْيَلْبِسُه مما يَلْبَسُ، ولا تكلُفُوهم ما يَغْلِبُهم، فإنْ كَلَفْتُمُوهم فَأَعِيْنُوهُم» .(٩٠)

من فوائد الحديث :

١- أن أبا ذر رضي الله عنه عَمِلَ بهذا الحديث، فألبسَ غلامه حُلّة كما لبس هو حُلّة.

٢- جواز لبس الرجل الصالح حُلّة، والحُلّة عند العرب ثوبان. وهما :(رداء وإزار سُمّيا بذلك ؛ لأن كل واحد منهما يَحِلّ على الآخر).(٩١)

٣- أن رسول الله ﷺ سمى المملوكِين إخوانًا .

٤- دلّ الحديث على أنه لا يجوز تكليف العبد ما يَغْلبه، فإن كَلَّفَه السيد ذلك ، ثم أعانه عليه فلا بأس .

٥- قوله: (إنك امرؤ فيك جاهلية) المعنى قد بقي فيك من أخلاق القوم شيء.(٩٢)

٦- قوله:(إنك امرؤ فيك جاهلية) يدلّ على أنّ هذا الفعل الذي صَدر من الصحابي هو من المعاصي ،ولا يَكْفر صاحبه بارتكابها إلا بالشرك، يؤيّده

---

(٩٠) صحيح البخاري ١/١٥ رقم ٣٠ . صحيح مسلم ٣/١٢٨٢ رقم ١٦٦١ .

(٩١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن المُلقّن ٣/٢٦ .

(٩٢) من ١-٥ مستفاد من الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة ٢/١٦٨ .

قول الله تعالى: {إنّ الله لا يَغْفرُ أن يُشركَ به ويغفرُ ما دون ذلك لمن يشاء}. وهو مذهب أهل السنّة والجماعة .[٩٣]

٧- قوله:(الجاهلية) أي: ما قبل الإسلام. وسمّوا بذلك لشدة جهالاتهم . وقوله:(الرَّبَذَة) هي قرية تقع على ثلاث مراحل من المدينة ، قريبة من ذات عِرْق .

٨- قوله: (فسألتُه عن ذلك). إنما سأله لأن عادة العرب ،وغيرهم أن تكون ثياب المملوك دون سيده.

٩- قوله ﷺ : (إنك امرؤ فيك جاهلية). معناه: إنك في التعيير بأمه على خُلُقٍ من أخلاق الجاهلية، ولستَ جاهلياً محضا، وينبغي للمسلم أن لا يكون فيه شيء من أخلاقهم.

١٠- قيل: إنه عَيَّر الرَّجلَ بسَوَاد أُمِّهِ ، كأنه قال: يا ابن السوداء ونحوه .

١١- قوله: (إني سابَبْتُ رجلا) روي أن بلالا كان هو الذي عَيّره بأمه، عن الوليد بن مسلم قال: كان بين بلال وبين أبي ذر محاورة ؛ فعَيّره أبو ذر بسواد أمه. فانطلق بلال إلى رسول الله ﷺ فشكى إليه تَعْيِيرَه بذلك، فأمره أن يدعوه.فلما جاء أبو ذر قال له: "أشتمتَ بلالا وعيّرته بسواد أمه؟ " قال: نعم. قال رسول الله ﷺ : "ما كنتُ أحسبُ أنه بقي في صدرك من أمر الجاهلية شيء". فألقى أبو ذر نفسه بالأرض، ثم وضع خدّه على التراب، وقال: والله لا أرفع خدي من التراب حتى يطأ بلال خدي بقدمه. فوطئ خده.[٩٤]

---

(٩٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن المُلقّن ٩/٣ . والآية ٤٨ من سورة النساء .

(٩٤) والتصريح بأنّ بلالا هو الرجل المَسبوب فيه نظر .(انظر موقع ملتقى أهل الحديث ، وفيه بحث جيّد لأحمد بن علي صالح حول ذلك ينفي صحّته) .

١٢- قوله ﷺ: (إخوانُكم خَوَلُكُم). قال أهل اللغة: الخَوَل: الخَدَمُ. سمّوا بذلك؛ لأنهم يتخوّلُون الأمور أي: يُصلِحُونها، ويقومون بها. يقال: خالَ المالَ يخولُه إذا أحسنَ القيام عليه، وقيل: إنه لفظٌ مشترك، تقول: خالَ المالَ، والشيءَ يخولُ ،وخِلْت أخُولُ خَوْلا إذا سِسْتَ الشيء وتعاهدتَه، وأحسنتَ القيامَ عليه. والخائِلُ: الحافظُ، ويقال: خالَ المالَ، وخائلُ مالٍ، وخُوْليُّ مالٍ، وخَوّلّه الله الشيءَ أي: مَلّكَهُ إيّاه .[٩٥]

١٣- قوله: (إخوانكم خَوَلُكُم) أي: حَشَمُكُم وخَدَمُكم، والمراد: أخوّة الإسلام والنَّسَب؛ لأن الناس كلهم بنو آدم .[٩٦]

١٤- قوله: (فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس) ليس للوجوب . فالتسوية في المطعم ،والملبس استحباب وهو ما عليه العلماء، فلو كان سيده يأكل الفائق ويلبس الغالي، فلا يجب عليه مساواة مملوكه ، أو مَخْدومه .[٩٧]

١٥- قوله:(ولا تكلُفُوهم ما يَغْلِبُهم) أنه يجب عدم تكليفهم مالا يستطيعونه، أو تحميلهم فوق طاقتهم ، لأنّ فيه إضرارا بهم، وأذيّة لهم .

١٦- قوله:(فإنْ كَلَفْتُمُوهم فَأَعِيْنُوهُم) فيه جواز تكليف ما فيه مشقة، فإن كانت غالبة وجب العون عليها .

١٧- الوصية من النبي ﷺ بما ملكت أيماننا، وهو آخر ما أوصى به عند موته فعن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يوصي عند موته: «الصلاة وما ملكت أيمانكم "[٩٨]؛ ولأن الله تعالى أوصى بهم في كتابه {واعبدوا الله ولا تشركوا

---

(٩٥) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن المُلقّن ٢٩/٣ .

(٩٦) المرجع السابق ٢٢١/١٦ .

(٩٧) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن المُلقّن ٢٢١/١٦ .

(٩٨) السنن الكبرى للنسائي عن أنس ٣٨٧/٦ رقم ٧٠٥٧ .ورقم ٧٠٥٨ . ورقم ٧٠٦٠ . ورقم ٧٠٦١ . ورقم ٧٠٦٢ . وعن أم سلمة ٣٨٩/٦ رقم ٧٠٦٣ . سنن أبي داود عن أنس ٥٠٤/٤ رقم ٥١٥٨ . وسنن ابن ماجه عن أنس ٩٠٠/٢ رقم ٢٦٩٧ . /٥١٩ رقم ١٦٢٥ وعن أم سلمة .وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧١٩/٢ رقم ٣٨٧٣.

به شيئا، وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى، والجار الجنب، والصاحب بالجنب، وابن السبيل وما ملكت أيمانكم}.[٩٩]

١٨- إنّ السبّ غير القذف .فهو عيّره بأمّه . وليس في تعييره ما يدل أنه كان قَذْفا.

١٩- الرفق بالمماليك والخَدَم .

٢٠- حقّ الخادم طعام يكفيه، وكسوة تستره وتقيه الحر والبرد .[١٠٠] وإنْ كان له راتب شهريّ -كما في زماننا-وَجَبَ أنْ يُعطَى راتبه في وقته ، ولا يؤخّره دون مُسوّغ شرعي .

٢١- النهي عن تَعْيير المسلم .[١٠١]

٢٢- فيه وصف لنوع اللباس الفاخر في ذلك الزمان وهو(الحُلّة) .حيث إنّ هذا اللباس لفت انتباه المعرور بن سُوَيْد الراوي عن أبي ذرّ ﷺ.

---

(٩٩) من ١٥-١٧ مستفاد من التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن المُلقّن ٢٢١/١٦-٢٢٣ . والآية ٣٦ من سورة النساء .

(١٠٠) من ١٨-٢٠ مستفاد من إكمال المُعلِم بفوائد مسلم للقاضي عياض ٤٣٣/٥ .

(١٠١) شرح صحيح مسلم للنووي ١٣٢/١١ .

إعجاب النبي ﷺ بِخِدْمة الخادم

الحديث الثالث عشر : عن سعد مولى أبي بكر رضي الله عنه – وكان سعد يخدم النبي ﷺ وكان يُعجِبُه خِدْمَتَه – أن النبي ﷺ نهى عن الإقران . يعني في التمر .[١٠٢]

من فوائد الحديث :

١- إن النهي حيث كان العيشُ زهيدا ،والقوتُ مُتَعَذّرا؛ مراعاة لجانب الضعفاء والمساكين؛ حثا على الإيثار ، والمواساة ،ورغبةً في تعاطي أسباب العَدْل حالة الاجتماع والاشتراك، فلما اتسع الحال قال: فشأنكم إذا .

٢- أجاز ﷺ القِرآن في التمر –إذا أذن فيه أصحابه– الذي وضع بين أيديهم؛ لأنهم متساوون في الاشتراك في أكله، فإذا استأثر أحدهم بأكثر من صاحبه لم يجز له الاستئثار بما لا تطيب به نفسُ صاحبِ الطعام .[١٠٣]

٣- النهي عن الإكثار من أكل التمر إذا كان مع غيره .

٤- يقال: قَرَن بين الشيئين وأَقْرَنَ: إذا جمع بينهما.

٥- والقِران في التمر قبيح وفيه شَرَهٌ ،وهو يُزْري بصاحبه.والذي يُقْرِن يصير أكثر أكلا من غيره . وقيل: إذا كان الطعام بحيث يُشْبِع الجميع كان مباحا له لو قَرَن، وجاز أن يأكل ما شاء ؛لأنّ الأدب مطلوبٌ في الأكل .[١٠٤]

٦- وقال أهل الظاهر: إن النهي للتحريم ،وفاعله عاص إذا كان عالما بالنهي، ولا نقول: إنه أكل حراما؛ لأن أصله الإباحة جملة، والجمهور على خلافهم بأن النهي للكراهة والتنزّه ، وعلى سبيل الأدب .[١٠٥]

---

(١٠٢) سنن ابن ماجه ١١٠٦/٢ رقم ٣٣٣٢ . المعجم الكبير للطبراني ٣٨٤/٢٢ رقم ١٨٨١٠ . المستدرك على الصحيحين ١٣٣/٤ رقم ٧١٣١ وصححه ووافقه الذهبي .وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة ٢٣٤/٢ رقم ٢٦٩٢.

(١٠٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن المُلقّن ٦١٠/١٥ .

(١٠٤) من ٣-٥ مستفاد من المرجع السابق ٦١١/١٥ .

(١٠٥) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن المُلقّن ٧٠/١٦ .

٧- في النهي عن القران فائدتان، ولمنعه علتان: أحدهما: الشرة والجشع . والثانية: إيثار الإنسان نفسه بأكثر من حقه مع مؤاكِلِه أو شريكه، أو رفيقه، وحكمهم في ذلك كله التساوي .[١٠٦]

٨- يحتمل إذا عَلِمَ من أصحابه الرضى،فلا يمنع منه، حيث قال ﷺ في رواية: " إلا أن يستأذن أخاه " .[١٠٧]

٩- قال الخطابي: هذا كان فى زمنهم لما كانوا عليه من الضيق والمواساة؛ فأما اليوم مع اتساع الحال فلا يحتاجون إلى الاستئمار ، قال القاضي: وفي الأمر نظر .[١٠٨]

١٠- إعجابُ النبي ﷺ بخدمة سعد مولى أبي بكر رضي الله عنهم . .

١١- شَرُفَ هذا الخادم بخدمة النبي ﷺ ، وبنقل العِلم عنه ﷺ .

١٢- إتْقان الخادم لعَمله ، وتفانيه فيه .

١٣- تـمَيُّز هذا الخادم .

---

(١٠٦) إكمَالُ المعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم للقاضي عِياض ٥٢٨/٦ .

(١٠٧) المرجع السابق . والحديث في صحيح البخاري ١٣٠/٣ رقم ٢٤٥٥ .١٣٩/٣ رقم ٢٤٩٠ . ٨٠/٧ رقم ٥٤٤٦.

(١٠٨) إكمَالُ المعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم للقاضي عِياض ٥٢٩/٦ .

حِرْصُ النبي ﷺ على نَفْعِ مَن يَخدِمُه

الحديث الرابع عشر : عن قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما أن أباه دَفَعَه إلى النبي ﷺ يخدمه قال: فأتى عَلَيّ النبي ﷺ وقد صليتُ ركعتين فَضَرَبني برجلِه فقال: «ألا أَدُلُّكَ على بابٍ من أبوابِ الجنة؟» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله» .[١٠٩]

من فوائد الحديث :

١- مَنْقَبة ، وفضيلة لقيس بن سعد رضي الله عنه .

٢- قوله:(لا حول ولا قوة إلا بالله) تَضَمَّنَتْ براءة النفس من حَوْلِها ، وقوتها إلى حول الله ، وقوته فكانت موصولة إلى الجنة .[١١٠]

٣- قوله (أن أباه) أي سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصاري الخزرجي أحد النقباء وأحد الأجواد مات بأرض الشام سنة خمس عشرة، وقيل غير ذلك .[١١١]

٤- قوله:(يخدمه) أي ليخدمه (قال) أي قيس بن سعد (فضربني برجله) فعل ذلك لتنبيهه[١١٢]؛ ليُشْعِرَه بأهميّة الكلام الذي سيقوله له .

٥- فضل الذكر ومنه:(لا حول ولا قوة إلا بالله) .

---

(١٠٩) مسند الإمام أحمد ٢٢٧/٢٤ رقم ١٥٤٨٠ . السنن الكبرى للنسائي ١٣٩/٩ رقم ١٠١١٥ . سنن الترمذي ٥٧٠/٥ رقم ٣٥٨١ . وقال : (حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه) .المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣٢٣/٤ رقم ٧٧٨٧ واللفظ له، وصححه ووافقه الذهبي .وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٢٧/٤ رقم ١٧٤٧ .

(١١٠) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ١٠٨/٣ .

(١١١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري ٣٠/١٠ .

(١١٢) المرجع السابق .

٦- قوله:(وقد صليتُ ركعتين فَضَرَبني برجلِه) يُحتمل أنه كان يُصلّي في المسجد، وكان مضْطجِعا ، أو مُسْتنِدا ومُمَدّدا لقدميه .

٧- قوله:(لا حول ولا قوة إلا بالله) كلمة استسلامٍ وتفويضٍ ،وأن العبد لا يملكُ من أمره شيئا ،وليس له حِيلة في دَفْع شَرٍّ ،ولا قوةٍ في جَلْبِ خيرٍ إلا بإرادة الله تعالى .(١١٣)

٨- قد تكون هذه الكلمات العظيمة مُكافأة لِخِدمة هذا الصحابي للنبي ﷺ .

٩- جواز خِدْمَة الحرّ لغيره .

١٠- اهتمام الآباء بتربية أبنائهم .

١١- خدمة العلماء والصالحين ، وطَلب الخير منهم ، مِن عِلمٍ ودعاء .

١٢- التماس البركة من النبي ﷺ .

١٣- خِدمة النبي ﷺ شَرَفٌ ، ورِفْعة .

١٤- لا حول ولا قوة إلا بالله ، بابٌ من أبواب الجنّة ، أو أنّها طريقٌ مُوْصِلٌ للجنّة .

١٥- إنّ الشدّة في التربية تَنفع بعض الأحيان . من قوله:(دفعه إلى النبي ﷺ) .

١٦- تَشَرّفَ بالصحبة الأبُ سعد ، وكذلك الابن قيس ، رضي الله عنهما .

١٧- ظاهرُ الحديث أنه خاصّ بقيس رضي الله عنه ، لكن الصحيح أنّه عام لكل أمّة مُحمّد ﷺ . فالعبرة بِعُموم اللفظ ، لا بخصوص السّبب .

١٨- أهميّة الصلاة في حياة المسلم ، وخاصة صلاة النافلة .

١٩- إنّ الجنّة لها أبواب .

٢٠- يَتقبّلُ الإنسان ضرب الحبيب ، والصديق بصَدْرٍ رَحِب ، ويرى ذلك من الاستئناس ، والانبساط .

---

(١١٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري ٣٠/١٠ .

النهي عن تكليف الخادم مالا يُطِيق

الحديث الخامس عشر : عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «للمملوك طعامه وكسوته، ولا يُكَلّفُ من العمل إلا ما يُطيق» .[١١٤]

من فوائد الحديث :

١- يجب الرفق بالخَدَمِ ، والتعامل معهم بالحسنى .

٢- الله سبحانه قدّر على هؤلاء الناس السُّخْرةَ .والعملَ في الخدمة .

٣- ينبغي للخادم ألا يستسلم ،ويحاول جاهدا الرقيّ بنفسه ورفعتِها .

٤- الكِسوة بكسر الكاف،وضَمِّها لغتان الكسر أفصح ،وبه جاء القرآن. ونَبّه بالطعام ،والكسوة على سائر المؤن ؛لأنهما أكثر ما يحتاج إليها العبد.[١١٥]

٥- اهتمام الإسلام بالخَدم .

٦- كمال هذا الدِّين ، وشموله لجميع مايُصلِح مناحي الحياة .

٧- دل الحديث على أنه لا يجوز تكليف العبد ما لا يُطِيق، فإن كَلَّفَهُ السيد ذلك ، ثم أعانه عليه فلا بأس .

٨- نُهِيَ عن تَحْمِيْلِهِم فوق طاقتِهِم ، لأنّ فيه إضرارا بهم، وأذيّةً لهم .

٩- معنى الكِسْوَة: اللبسُ ، والثوبُ ، والغِطاءُ .[١١٦] ومايتزيّن به الإنسان ، ويَسْتُر عورته .

---

[١١٤] صحيح مسلم ١٢٨٤/٣ رقم ١٦٦٢ .

[١١٥] شرح صحيح مسلم للنووي ١٣٤/١١ .

[١١٦] تهذيب اللغة للأزهري ٣٩٣/٣ . لسان العرب لابن منظور ٢٢٣/١٥ مادة (كسا) .

على الخادم ألاّ يُفشي سِرَّ سيده الذي يعمل عنده

الحديث السادس عشر : عن أنس ﷺ قال: خدمتُ رسول الله ﷺ ذات يوم، حتى إذا رأيتُ أني قد فَرَغْتُ من خدمته، قلت: يَقِيل النبي ﷺ فخرجت من عنده، فأتيت على غِلْمَةٍ، يلعبون، فقلت: انظر: إلى لَعِبِهِم، فجاء النبي ﷺ حتى انتهى إليهم، فسلّم، ثم دَعَاني، فبعثني في حاجة، فكان في فَيْء حتى أتيته، فأبطأت على أمّي للحين الذي كنت آتيها له، فقالت: ما حبسك؟ فقلت: النبي ﷺ بعثني إلى حاجة، فقالت: ما هي؟ فقلت: إنه سرّ للنبي ﷺ ، فقالت: احفظ للنبي ﷺ سِرّه ، فما أخبرت بتلك الحاجة أحدًا من الخلق، ولو كنت محدثًا بها أحدًا حدثتُكَ بها . (١١٧)

من فوائد الحديث :

١- فضيلة ومنقبة لأنس ﷺ .

٢- وجوب حفظ السرّ ، وعدم إفشائه .

٣- قول أم أنس :(لا تحدثنّ بسرّ رسول الله ﷺ أحدا) فيه حُسْن تربية هذه الصحابية لابنها على كتم السرّ ، وإعانته على حفظه .

٤- المساعدة على الخير فيما يقدر عليه الإنسان .

٥- قال بعض العلماء :(كأن هذا السر كان يختص بنساء النبي ﷺ وإلا فلو كان من العلم ما وسع أنسا كتمانه) . (١١٨)

٦- خدمة الصغير للكبير .

---

(١١٧) مسند الإمام أحمد ٢٨٢/١٧ رقم ٩٥١٠ . واللفظ له . صحيح البخاري ٦٥/٨ رقم ٦٢٨٩ . صحيح مسلم ١٩٢٩/٤ رقم ٢٤٨٢ .مستفاد من كتابي (عشرون موقفا إيجابيا من الأحاديث النبوية الشريفة ج٣ ص ٥٣ وزدت عليه) .

(١١٨) فتح الباري لابن حجر ٨٢/١١ .

٧- خدمة النبي ﷺ ليست كخدمة أحد من الناس . فخدمته ﷺ عزّ وشرف ، ويُتقرب بها إلى الله .

٨- فضل طاعة الوالدين ، وأنها لا تأتي إلا بخير.من قوله:(فأبطأْتُ على أمي).

٩- اللعب جزء من حياة الصغار .وهو يُشبع لدى الصغير حاجات نفسية . فلا ينبغي إهمال هذا الجانب في تربية الصغار .

١٠- تواضع النبي ﷺ ، وكمال خُلُقه ، وأدبه ، حيث سلّم على الغلمان .

١١- بعض الناس يظن أن الصغار لا يفهمون ، فلا يُلقي لهم بالا ، ولا يُسلّم عليهم ، والحقيقة خلاف ذلك . لذا على المربي أن يدرك أن الصغار لهم إدراك وإحساس ، بل ولهم مشاعر يجب أن يراعيها ،ويقدّرها حقّ قَدْرِها حتى تؤتي التربية ثمارها .

١٢- أهمية الاقتداء بالنبي ﷺ .

١٣- يتبين من خلال سلام المصطفى ﷺ على الغلمان أنه اعتبر بهم ، وجعل لهم كيانا ووجودا في الحياة.

١٤- على الأفاضل وكبار القوم أن يطرحوا رداء الكبر ،ويُلِينوا جانبَهم للناس. (١١٩)

١٥- تقديم أمر النبي ﷺ على أمر كل أحد بعد أمر الله سبحانه .

١٦- كان أنس رضي الله عنه خليقا ؛ بأن يُرسله النبي ﷺ في حاجته ، رغم صِغَر سنّه .

١٧- قوة أنس رضي الله عنه الشخصية ، وضبطه لنفسه من أن يبوح بشيء أسرّه له ﷺ لأحد من الناس ؛ كائنا من كان ، ولو كان أقرب الأقربين .

١٨- التربية الحسنة لا تثمرُ إلا خيرا .

١٩- شفقة الأمّ ، وخوفها على ولدها ، حيث تأخّر عليها .

---

(١١٩) فتح الباري لابن حجر ٣٣/١١ .

٢٠–قوله: (يَقِيل) من القيلولة . وهي :الاستراحة نصف النهار عند العرب، وإن لم يكن مع ذلك نوم. (١٢٠)

٢١–قوله: (خدمتُ رسول الله ﷺ) لاحرج أن يُصرّح الإنسان بعمله الذي يعمله ، وأن يفتخر به ، للمصلحة ، من دون عُجْبٍ وفتنة .

٢٢– قوله:(لا تُحَدِّثَنّ) يَكفي أن تنهاه ، وتُحَذّرُه بأن تقول:(لا تُحدّث) لكنّها قَرَنت الفعل بنون التوكيد الـمُشَدّدة ، للتشديد في الأمر وتغليظه .

٢٣–قوله:(لا تُحَدِّثَنّ) الفعل المضارع يدل على الاستمرار ، وكأنّها تقول له ، دائما ، وأبدا ، وبشكل مُستمرّ لا تُحدِّث بِسِرِّ النبي ﷺ .

(١٢٠) الغريبين في القرآن والحديث للهروي ١٦٠٢/٥ .

الخادِم يُحَدِّثُ عن النبي ﷺ

الحديث السابع عشر : عن عبد الرحمن بن جُبَير، أنه حَدَّثَه رجلٌ خَدَمَ النبي ﷺ ثمانِ سنين، قال: كان النبي ﷺ إذا قُرِّبَ له طعام قال: " بسم الله " فإذا فرغ من طعامه قال: " اللهُمَّ أَطْعَمْتَ وَأَسْقَيْتَ، وَأَغْنَيْتَ، وَأَقْنَيْتَ، وَهَدَيْتَ، وَاجْتَبَيْتَ، فَلَكَ الْحَمْدُ على ما أَعْطَيْتَ " . (١٢١)

من فوائد الحديث :

١- في هذا الحديث أن التسمية في أول الطعام بلفظ " بسم الله " لا زيادة فيها، وكل الأحاديث الصحيحة التي وردت في الباب كهذا الحديث ليس فيها الزيادة، ولاأعْلَمُها وَرَدَت في حديث، فهي بدعة عند الفقهاء . (١٢٢)

٢- وهناك قول آخر أنّ:(الأفضل الاقتصار على قول "بسم الله"في أول الطعام، وأن لا يزيد عليها ، فإن زاد وقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، فلا حرج عليه عند أكثر العلماء) . (١٢٣)

٣- والقِنى من القِنية، وهو أن يقتنيَ مالا .قال الله تعالى: {وأنه هو أغنى وأَقْنَى}(١٢٤) والقِنْيَة هي: اسم لما يُقْتَنى أي: يُدَّخَر ويُتَّخَذُ رأس مال زيادة على الكفاية. (١٢٥) وتقول العرب القِنَى: الرِّضى . (١٢٦)

---

(١٢١) مسند الإمام أحمد ٣٠٤/٣١ رقم ١٨٩٧٠ .قال محققوه : حديث صحيح . أخلاق النبي ﷺ لأبي الشيخ الأصبهاني ٢٢٥/٢ رقم ٦٤٦ . وصححه الألباني في صحيح الجامع ٨٦٦/٢ رقم ٤٧٦٨ . وسلسلة الأحاديث الصحيحة ١٥٢/١ رقم ٧١ .

(١٢٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ١٥٢/١ التعليق على الحديث رقم ٧١ .

(١٢٣) موقع الإسلام سؤال وجواب بإشراف الشيخ محمد صالح المنجد . رقم الفتوى ١٦٣٥٧٣ .انظر فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤٨٠/٥ . الأذكار للنووي ص ٢٣١ .لقاء الباب المفتوح للشيخ ابن عثيمين ١٨٦/٤ .

(١٢٤) سورة النجم آية ٥٣ .

(١٢٥) الكليات للكفوي ص ١١٦٨ .

(١٢٦) المقصور والممدود لأبي علي القالي ص ١٧٩ .

٤- النشاط الأول الذي يمارسه الإنسان كل يوم هو أن يأكل وأن يشرب، إذاً الإنسان مفتقرٌ في وجوده -بعد الله- إلى الطعام والشراب، ومفتقرٌ أيضا في كسب ثمن الطعام والشراب .وكل واحد منا لابد من أن يأكل، ولا بد من أن يحصل رزقاً يشتري به الطعام والشراب، هذه سنة الله في خلقه، إذاً المؤمن يأكل ويشرب، ولكن ماذا يأكل؟ وكيف يأكل؟ هذا مما يتميز به كل بني آدم عن غيره . وهذا مايتميز به المسلم عن الكافر

٥- إنّ نعمة الهداية لا تعدلها نعمة،نعمة الهداية إلى الإسلام ، والهداية إلى الطعام ، فهو سبحانه الذي يسّره . ([١٢٧])

٦- روى لنا هذا الخادم الصحابي ﷺ دعاءً يُقال بعد الفراغ من الأكل .

٧- الاقتداء بالنبي ﷺ .

٨- الله سبحانه هو المُنْعِم ، وهو المُطْعم .

٩- نِعَمُ الله كثيرةٌ لا تُحْصى .

١٠- من السنّة قَوْلُ هذا الدعاء ، أو غيره مما ورد ، بعد الفراغ من الأكل .

١١- هذا الصحابي خدم النبي ﷺ ثماني سنوات .

١٢- هذا الصحابي الخادم ؛ يَصِفُ لنا حال النبي ﷺ إذا قُدّم له الطعام ، ماذا يقول .

١٣- وجوب التسمية قبل الأكل .

١٤- قوله:(بسم الله) هذا حِرْزٌ ، وحِصْن من الشيطان ، بحيث أنه لا يُشارك المُسْلم في طعامه ، ولا شرابه .

([١٢٧]) من ٤-٥ مستفاد من موسوعة النابلسي الدرس (٠٤ - ٣٠) : دعاء الرسول في الطعام والشراب: اللهم أطعمت وأسقيت وأغنيت وأقنيت .

خِدمة ابن مسعود للنبي ﷺ وكأنّه من أَهْل بيتِه

الحديث الثامن عشر : عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قَدِمْتُ أنا وأخي من اليمن، فمَكَثْنا حِيْنا،وما نحسبُ ابن مسعود وأمه ؛إلا من أهل بيت النبي ﷺ لكثرة دخولهم ، وخروجهم عليه . (١٢٨)

من فوائد الحديث :

١- قوله : (حِينًا) الحِيْن اسم كالوقت يَصْلُحُ لجميع الأزمان كلِّهَا طَالَت ،أو قَصُرَت.وقال ابن عَرَفَة: الحين القِطعة من الدّهر كَالسَّاعَة فما فوقها.(١٢٩)

٢- دخولهما بيت النبي ﷺ دال على فَضْلِهم وخَيرهم . (١٣٠)

٣- قوله:(قَدِمتُ أنا وأخي من اليمن) قدوم وفد الأشعريين، وأهل اليمن بإسلامهم أمام النبي ﷺ ، إلى المدينة مهاجرين وكان ذلك بعد فتح خيبر. (١٣١)

٤- كان ابن مسعود ﷺ صاحب نعلي رسول الله ﷺ يحملهما ويتعاهدهما. (١٣٢)

٥- خصوصيّة ابن مسعود ﷺ . (١٣٣)

---

(١٢٨) صحيح البخاري ٢٨/٥ رقم ٣٧٦٣ . ١٧٣/٥ رقم ٤٣٨٤ . صحيح مسلم ١٩١١/٤ رقم ٢٤٦٠ .

(١٢٩) المعْلم بفوائد مسلم للمازري ٢٦٩/٣ .

(١٣٠) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن المُلقّن ٣٦٤/٢٠ .

(١٣١) فتح المنعم شرح صحيح مسلم د.موسى لاشين ٤٣٦/٩ .

(١٣٢) فتح الباري لابن حجر ٩١/٧ .

(١٣٣) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم للهرري ٦٣٥/٢٣ .

٦- قول أبي موسى: (قَدِمْتُ أنا وأخي) هو أبو رُهْم الأشعري .[١٣٤] واسمه على الأرجح محمد بن قيس .[١٣٥]

٧- إن رسول الله ﷺ ضمَّ ابن مسعود رضي الله عنه إليه ،واختصّه بخدمته، وملازمته وذلك لما رأى من صلاحيته لقبول العلم ،وتحصيله له .[١٣٦]

٨- قوله:(من كثرة دخولهم ولزومهم له) ﷺ جَمَعَهُمَا وهما اثنان هو وأمه؛ لأنّ الاثنين يجوز جمعهما بالاتفاق .ولكنّ الجمهور يقولون: أقل الجمع ثلاثة فجمع الاثنين مَجَاز، وقالت طائفة أَقلّه اثنان فجَمْعُهُما حقيقة .[١٣٧]

٩- استحباب الرحلة في طلب العلم والذهاب إلى الفضلاء حيث كانوا ، وتحمّل المَشّاق في سبيل ذلك.[١٣٨]

١٠- اليَمَن : هي دولة عربية مُسلمة ، تقع جنوب غرب شبه الجزيرة العربية في غربي آسيا .[١٣٩]

١١- عِلم عبدالله بن مسعود ، وفقهه .

١٢- صِدْقُ فِراسة النبي ﷺ في اختيار ابن مسعود رضي الله عنه دون غيره .

١٣- استمتاع ابن مسعود بهذه الخدمة ، وتلذُّذِهِ بها ، رَغبةً فيما عند الله ، وتَقَرُّبا إلى النبي ﷺ ، ورجاءَ بركةِ هذا القرب ، وهذه المُلازمة .

١٤- قوله: (قَدِمْتُ أنا وأخي من اليمن) ما أجملها من أخوّة ! اجتمعت أخوّة الدين ، وأخوّة النّسَبِ ، والرّحِم .ولا شكّ أنّ أعظمَهُمَا أُخوّة الدَّين .

---

(١٣٤) فتح الباري لابن حجر ١/٣٠١-٣٠٩ .

(١٣٥) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٦/٣١ . رقم الترجمة ٧٨٠٧ .

(١٣٦) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي ٢٠/١٠٧ .

(١٣٧) شرح صحيح مسلم للنووي ١٦/١٤-١٦ . الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم للهرري ٢٣/٦٣٥ .

(١٣٨) فتح المنعم شرح صحيح مسلم د.موسى لاشين ٩/٤٣٩ .

(١٣٩) ويكيبيديا (الموسوعة الحرّة) .

١٥- مَحبّة النبي ﷺ لابن مسعود رضي الله عنه ، وتَعامله الرائع والجميل معه ، فهو ﷺ القُدْوَة في ذلك .

١٦- جواز خدمة الحرّ طواعية لغيره ، وبلا مُقابل .

١٧- مكافأة النبي ﷺ لمن يَخْدِمُه .

على الخادم ألاّ يأخذ شيئا ليس له

الحديث التاسع عشر : عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كان على ثَقَلِ النبي ﷺ ، رجل يقال له كِرْكَرَة، فمات فقال رسول الله ﷺ : «هو في النار»، فذهبوا ينظرون إليه، فوجدوا عَبَاءَةً قد غَلَّهَا . (١٤٠)

من فوائد الحديث :

١- النبي ﷺ لا يُحابي أحدا في الحق .

٢- هذا الصحابي الخادم رضي الله عنه أخطأ في أخذ شيء ليس له حقّ فيه ، ولم يستأذن فيه سيّده ﷺ .

٣- الموت حقّ .

٤- قوله :هو في النار لا يعني أنّه مُخَلّدٌ فيها .لكنه ارتكب معصية ، وكبيرة من كبائر الذنوب ، وهي : الغُلُول من الغنمية . فقد أخفى شيئا قبل أن يَقْسُمُه النبي ﷺ .

٥- كركرة مولى رسول الله ﷺ كان نُوْبِيًّا أهداه له هَوْذة بن علي الحنفي اليمامي فأعتقه . له صحبة ولا تعرف له رواية . وقال الواقدي: كان يُمسِكُ دابة النبي ﷺ عند القتال يوم خيبر (١٤١)

٦- وقد اختلف العلماء في عقوبة الغال، فقال الجمهور: يُعْذَرُ على قَدْرِ حاله على ما يراه الإمام، ولا يُحْرِق متاعَه .(١٤٢)

---

(١٤٠) صحيح البخاري ٤/٧٤ رقم ٣٠٧٤ .

(١٤١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٥/٥٨٧ رقم ٧٤٠٥ .

(١٤٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن المُلقّن ١٨/٣٣٥ .

٧- الغلول فقال أبو عبيد هو : الخيانة في الغنيمة،وقال غيره هي: الخيانة في كل شيء .[١٤٣]

٨- الوعيد الشديد ، والتغليظ في عقوبة الغالّ .[١٤٤]

٩- يجب على الغَالّ أن يَرُدّ ما غلّ إلى صاحب القِسْمَةِ ، وهى توبة له.[١٤٥]

١٠- إذا مات الغالّ ولم يَتُب ، فإنّ أمره إلى الله ، إن شاء عذّبه ، وإن شاء غفر له . فهو تحت المشيئة .

١١- يَدْخُل في هذا التغليظ والوعيد الخيانة في أموال الوظيفة ، فالموظف مؤتمن على أموال الدولة ، وإذا تصرّف فيها بدون إذن المسؤول ، فإنه لا يجوز له ، وهو داخل في الوعيد .قال الشيخ ابن باز رحمه الله :(الحذر من الغلول، وهو الأخذ من الغنيمة قبل القِسْمة، وهكذا الأخذ بالباطل ،أو شيئًا من بيت المال) .[١٤٦]

١٢- قوله: (ثَقَلِ النبي ﷺ) هو متاع المسافر، وقيل: المتاع المحمول على الدابة.[١٤٧]

١٣- قوله:(عَبَاءَة) هو ضَرْبٌ من الكِسَاء.[١٤٨] أي:نوع من الثياب يُلبس .

١٤- الذي أعلم النبي ﷺ بحاله هو الوحي .

١٥- هذا الخادم أوقع نفسه في الحرج ، والإثم . فلو جاء إلى النبي ﷺ ، وطلب منه هذه العباءة فلن يَمنَعَه إيّاها .

---

(١٤٣) شرح صحيح مسلم للنووي ١٢٨/٢ .
(١٤٤) شرح صحيح البخاري لابن بطّال ٢٣٣/٥ .
(١٤٥) المرجع السابق .
(١٤٦) الحلل الإبريزية من التعليقات البازية على صحيح البخاري ٥٤٣/٢ .
(١٤٧) شرح المصابيح لابن المَلَك ٤٣٩/٤ .
(١٤٨) المرجع السابق .

فقير اكتسب حتى أصبح غنيا واشترى خادما

الحديث العشرون : عن ابن أبي مليكة، أن أسماء، قالت: كنت أخدم الزبير خدمة البيت، وكان له فرس، وكنت أسوسه، فلم يكن من الخدمة شيء أشد علي من سياسة الفرس، كنت أحتش له وأقوم عليه وأسوسه، قال: ثم إنها أصابت خادما، «جاء النبي ﷺ سبي فأعطاها خادما»، قالت: كَفتني سياسة الفرس، فألقت عني مئونته، فجاءني رجل فقال: يا أم عبد الله إني رجل فقير، أردت أن أبيع في ظل دارك، قالت: إني إنْ رَخّصْتُ لك أبَى ذاك الزبير، فتعال فاطلب إليّ، والزبير شاهد، فجاء فقال: يا أم عبد الله إني رجل فقير أردت أن أبيع في ظل دارك، فقالت: ما لك بالمدينة إلا داري؟ فقال لها الزبير: ما لك أن تمنعي رجلا فقيرا يبيع؟ فكان يبيع إلى أن كسب، فبعته الجارية، فدخل علي الزبير وثمنها في حجري، فقال: هبيها لي، قالت: إني قد تصدقت بها . (١٤٩)

من فوائد الحديث :

١- هذه الصحابية رضي الله عنها تخبر عن حال زوجها ، أنها تزوجته رضي الله عنه ، وهو فقير لا يملك غير بعير وفرس . (١٥٠)

٢- كان الزواج في السابق باليسير ، بخلاف زماننا .

٣- من حقوق المرأة على زوجها قيامها بخدمته ، وهو من مقتضيات القوامة التي ذكرها الله في كتابه .

---

(١٤٩) صحيح مسلم ١٧١٧/٤ رقم ٢١٨٢ .

(١٥٠) رواية البخاري بيّنت ذلك ٣٥/٧ رقم ٥٢٢٤ .

٤- تصف هذه الصحابية حالتها الاجتماعية ، وترسم لنا صورة صادقة من الحياة التي كانت تحياها في كنَف الزوجية .

٥- هذه الصحابية اشتغلت في بيتها وخارج بيتها ، فزادت عن الواجبات التي عليها ، فالاهتمام بالفرس ورعايته ، ليس من الحقوق الواجبة عليها . ومع ذلك قامت بهذا الأمر خير قيام .

٦- بيّنت أسماء رضي الله عنها في هذا الحديث عدة أعمال كانت تقوم بها :

أ- تعلف الفرس ب- تستقي الماء ج- تخرز الغرب د- تعجن

هـ تنقل النوى على رأسها . ([١٥١])

٧- الأعمال السابقة قد يعجز عن القيام بها بعض نسائنا في هذا الزمان ، خاصة الجيل الجديد من النساء .

٨- مساعدة النساء بعضهن لبعض ،مما يدل على مدى قوة التواصل الاجتماعي .

٩- تعترف هذه الصحابية بأنها لا تعرف عجن الخبز ، وليس في ذلك عيب ،كون الإنسان يعترف بعجزه في أمر من الأمور ،أفضل من أن يدّعي معرفته وهو لا يعرف. مع محاولاتها التعلم من خلال مجيء نساء من الأنصار يعجنّ لها .

١٠- الاعتراف بالفضل لأهل الفضل ، فاعترفت أسماء بفضل نساء الأنصار ، وأثنت عليهنّ . ([١٥٢])

([١٥١]) كما في رواية البخاري في صحيحه ٣٥/٧ رقم ٥٢٢٤ . ومسلم في صحيحه ١٧١٦/٤ رقم ٢١٨٢ . فكانت رضي الله عنها تقوم بهذه الأعمال .

([١٥٢]) من ٨-١٠ مستفاد من رواية البخاري في صحيحه ٣٥/٧ رقم ٥٢٢٤ . ومسلم في صحيحه ١٧١٦/٤ رقم ٢١٨٢ .

١١- مدى المعاناة التي كانت تعانيها هذه الزوجة الصالحة ، الصابرة .

١٢- لولي الأمر أن يعطي من شاء من رعيته من الخَدَم ونحو ذلك ، خاصة وزوجها الزبير ﷺ كان ممن أبلى بلاء حسنا لرفعة الدين .

١٣- عَزّ على النبي ﷺ امتهان ابنة حبيبه وصاحبه أبي بكر في هذه الأعمال ، فرقّ لها ، وعطف عليها .

١٤- لم يوبّخ النبي ﷺ الزبير على تكليف زوجته أسماء للقيام بهذه الأعمال ، لعلمه ﷺ بأنها قامت بذلك عن طيب نفس منها . ([١٥٣])

١٥- فرحة هذه الصحابية بالتحرر من خدمة الفرس .

١٦- هذه قصّة عظيمة لامرأة عظيمة وهي أسماء بنت أبي بكر الصّديق رأينا ماذا كانت تفعل لما كان زوجها مشغولا بالجهاد وتدبير أمور الدّعوة والدّولة الإسلامية بجانب النبي ﷺ . ([١٥٤])

١٧- رحمة أسماء بالفقير .

١٨- الحوار الهادئ بين أسماء وزوجها الزبير من أجل هذا الفقير .

١٩- فتح الله على هذا الفقير حتى أصبح غنيا ،ثمّ اشترى المرأة التي كانت تخدم أسماء .

٢٠- قولها: (فلم يكن من الخدمة شيء أشد علي من سياسة الفرس) لم تتأفف من القيام بالخدمة في بيتها ، بل كأنها ترى ذلك من الواجبات عليها ،لكن تأففها كان من سياسة الفرس .

([١٥٣]) من ١٥-١٦ مستفاد من شرح صحيح البخاري لابن بطال ٣٥٠/٧ .

([١٥٤]) موقع الإسلام سؤال وجواب فتوى رقم ٦٩١٣ .بتصرف .

٢١- قولها:(فلم يكن من الخدمة شيء أشد علي من سياسة الفرس، كنت أحتشّ له وأقوم عليه وأسوسه) يبدو لي من خلال كلامها ، ولفظة (سياسة ، وأسوسه) أنّ الخيل يُحتاج لها رعاية خاصة تختلف عن بقيّة الأنعام.

٢٢- للمرأة أن تتصرف في مالها من دون إذن زوجها .

٢٣- إقرار الزوج على تصرّف زوجته .

٢٤- فضل الصدقة .

٢٥- نجحت حيلة أسماء من أجل موافقة الزبير على الفقير أن يبيع تحت ظل البيت .

٢٦- لم توافق أسماء على الفقير لأنها لا تملك البيت .

٢٧- أهميّة العمل ، ومكانته في الإسلام .

٢٨- كَرَمُ أخلاق أبي بكر ؛ فإنّه ﷺ عَلِمَ ما كانت عليه ابنته من الضرر والمشقة ؛ فلم يطالب صِهْرُه بشيء يُثْقِلُ عليه لمعرفته بحاله .

٢٩- كان ﷺ مُتَرَقّبا لإزالة العناء ، والمشقّة عن ابنة صاحبه؛ فلما تمكّن منه أزاله من السّبي .

٣٠- الزبير ﷺ لم يكلّف زوجته شيئًا من ذلك ، وإنما فعلت هي ذلك لحاجتها إلى ذلك ، وتخفيفًا عن زوجها .

٣١- قوله: (فأعطاها خادما) يُطلق الخادم على الذكر والأنثى .

٣٢- وقوله : (جاء النبي ﷺ سبيٌّ فأعطاها خادمًا) ؛ هذه الرواية مخالفة لقولها في الرواية الأخرى :إن أبا بكر ﷺ أرسلها إليها.(١٥٥) وهذا لا بُعد فيه ؛ لأنَّ النبي ﷺ دفعها لأبي بكر ليدفعها لها ، فأرسل بها أبو بكر لها .

---

(١٥٥) صحيح البخاري ٣٥/٧ رقم ٥٢٢٤ . صحيح مسلم ١٧١٦/٤ رقم ٢١٨٢ .

٣٣- الإذن في البيع الخفيف بغير أجر ؛ لأنَّ ذلك من باب الرفق بالمحتاج ، والفقير . ([١٥٦])

٣٤- توقف أسماء رضي الله عنها في الإذن للفقير إلى أن يأذن الزبير إنما كان مخافة غَيرة الزبير ، أو يكون في ذلك شيء يتأذى به الزبير ، وحُسْنُ أدبٍ ، وكرمُ خُلُقٍ حتى لا تتصرَّف في شيء من مالها إلا بإذن زوجها.

٣٥- أمر أسماء للفقير بأن يسألها ذلك بحضرة الزبير لتستخرج بذلك ما عند الزبير من كرم الخلق ، والرغبة في فعل الخير ، وليشاركها في الأجر ، وذلك كله منها حسن سياسة ، وجميل ملاطفة تدلُّ على انشراح الصدور ، وصدق الرغبة في الخير .

٣٦- بيع أسماء للجارية من غير إذن الزبير يدلّ على أن للمرأة التصرُّف في مالها بالبيع والابتياع من غير إذنه ، وليس له منعها من ذلك إذا لم يضرُّه ذلك به في خروجها ، ومشافهتها للرجال بالبيع والابتياع ، فله منعها مما يؤدي إلى ذلك .

٣٧- سؤاله لها أن تَهَبَهُ ثمن الجارية دليل على أن الزوج ليس له أن يتحكم عليها في مالها بأخذ ، ولا غيره ؛ إذ لا ملك له في ذلك ،إنَّما له فيه حق التجمُّل، وكفاية بعض المؤن .

٣٨- جواز هبة المرأة بعض مالها بغير إذن الزوج . ([١٥٧])

٣٩- الخِدْمَة فيها مَشَقّة ، وثِقّلٌ على النّفس ،والجسد مَعَا .

([١٥٦]) من ٢٨-٣٣ مستفاد من المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي ١٨/٢٢-٢٣ .

([١٥٧]) من ٣٤-٣٨ مستفاد من المرجع السابق ١٨/٢٤ .

٤٠- قولها :(فتعال فاطلب إليّ، والزبير شاهد) وقول الفقير:(يا أم عبد الله) يدلّ على أنّه لا حرج في مكالمة الرجل للمرأة ، ومكالمة المرأة للرجل ، في حاجتهما من دون رِيْبَةٍ ، أو خَلْوة .

الخاتمــة

وبعد هذه الجولة المباركة –بإذن الله – مع مواقف النبي ﷺ مع الخَدَم ،وكيف كان يتعامل مع هذا الصّنف من الناس؟ .أقول :

١–هذا التعامل يعتبر بحق المنهج الرباني الذي تلقّاه ﷺ من الوحي ، و المدرسة النموذجية الراقية التي ينبغي لكل مسلم الاقتداء بها .

٢– فرصة عظيمة لأن نرجع إلى المعين الصافي ، والذي لم يُكدّر ، ونستلهم منه الدروس والعبر ، ونستنبط الفوائد والدرر .

٣–إن قراءة مثل هذه المواقف ، والتأمل فيها ، تزيد من إيمان الشخص ، وتجعله على صلة وثيقة بدينه ، وبسيرة نبيه ﷺ ، وتحثّه على السير على منهجه ، وتحفّزه لعمل الآخرة .

٤–هذه المواقف مجموعة من الآداب ، ومنظومة من السلوك الإسلامي الأصيل . يحتاجها كل مسلم في حياته ، وتعاملاته اليومية .

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	رقم الصفحة
مقدمة	١
الحديث الأول: الخادم يأتي بالقَصْعَة	٢
الحديث الثاني :خدمة أنس للنبي ﷺ	٦
الحديث الثالث : خيرٌ لكما من خادم	٩
الحديث الرابع : الغلام رَبَاح يستأذن لعمر	١٣
الحديث الخامس : أَعْتقَ الخادمَ من أجل لَطْمَة	١٩
الحديث السادس : النبي ﷺ يَغْمِسُ يده في أواني الخدم	٢١
الحديث السابع : غلامٌ يهوديٌّ يَخْدِمُ النبي ﷺ	٢٤
الحديث الثامن : طُلِب من الخادِم الحِرَاسَة فنام	٢٦
الحديث التاسع : إعانة الخادم الذي يريد العِتق	٢٩
الحديث العاشر : ارفق يا أنْجشةُ بالقوارير	٣٣
الحديث الحادي عشر : ربيعة بن كعب يخدم النبي ﷺ	٣٨
الحديث الثاني عشر: أَلْبِس خادمَك مما تلبس ، وأطْعِمْه مما تأكل	٤٢
الحديث الثالث عشر : إعجاب النبي ﷺ بِخِدْمة الخادم	٤٦
الحديث الرابع عشر : حِرْصُ النبي ﷺ على نَفْعِ مَن يَخدِمُه	٤٨
الحديث الخامس عشر : النهي عن تكليف الخادم مالا يُطِيق	٥٠
الحديث السادس عشر:على الخادم ألاّ يُفشي سِرَّ سيده الذي يعمل عنده	٥١
الحديث السابع عشر : الخادِم يُحَدِّثُ عن النبي ﷺ	٥٤

الموضـوع	رقم الصفحة
الحديث الثامن عشر : خِدمة ابن مسعود للنبي ﷺ وكأنّه من أَهْل بيتِه	٥٦
الحديث التاسع عشر : على الخادم ألاّ يأخذ شيئا ليس له	٥٩
الحديث العشرون : فقير اكتسب حتى أصبح غنيا واشترى خادما	٦١
الخاتـمة	٦٧
فهرس الموضوعات	٦٨